أرض الأحلام

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: أرض الأحلام

اسم المؤلف: فاطمة سامح

التدقيق اللغوي: د. ياسر عوض

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٨٠٧٦ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٤٢٨-٥-٨



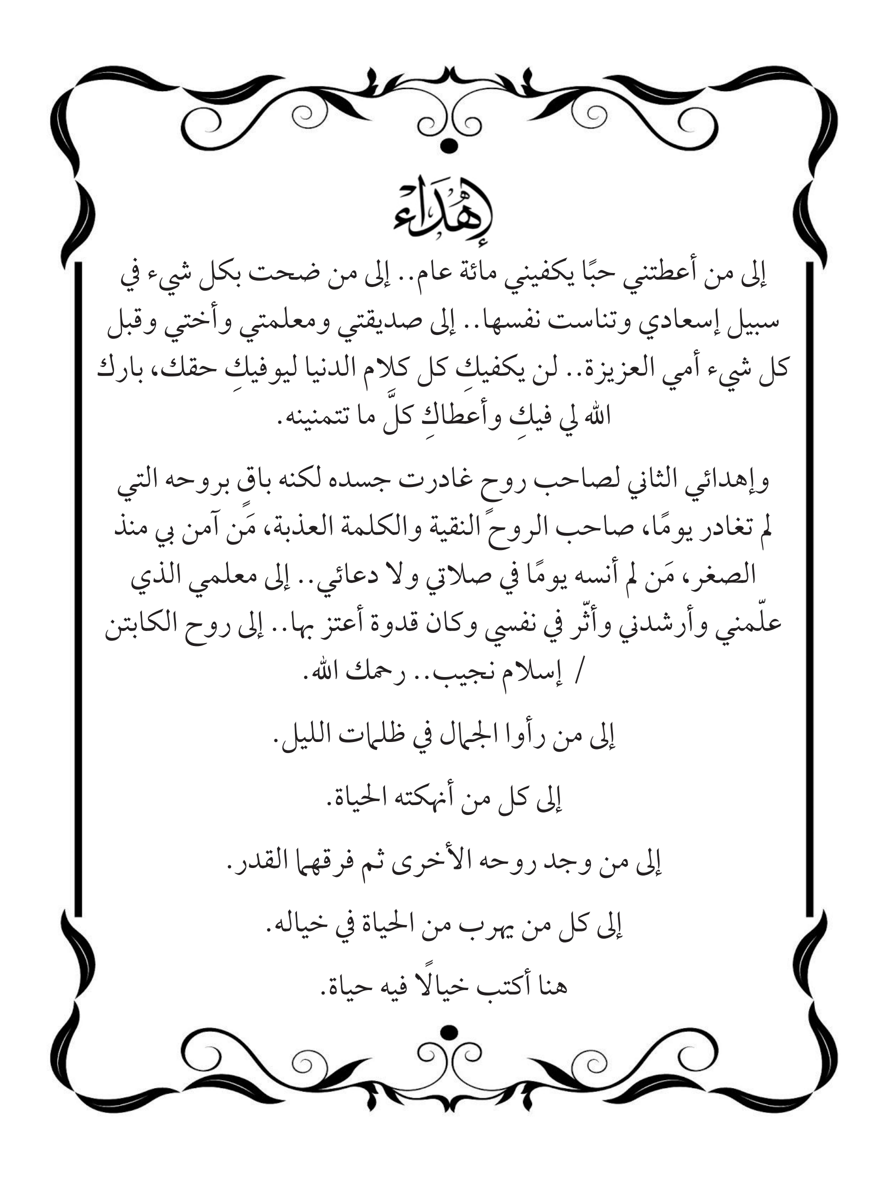

ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية


01020439639

massar.pub1@gmail.com

أرض الأحلام





إهداء

إلى من أعطتني حبًا يكفيني مائة عام.. إلى من ضحت بكل شيء في سبيل إسعادي وتناست نفسها.. إلى صديقتي ومعلمتي وأختي وقبل كل شيء أمي العزيزة.. لن يكفيكِ كل كلام الدنيا ليوفيكِ حقك، بارك الله لي فيكِ وأعطاكِ كلَّ ما تتمنينه.

وإهدائي الثاني لصاحب روح غادرت جسده لكنه باقٍ بروحه التي لم تغادر يومًا، صاحب الروحٍ النقية والكلمة العذبة، مَن آمن بي منذ الصغر، مَن لم أنسه يومًا في صلاتي ولا دعائي.. إلى معلمي الذي علّمني وأرشدني وأثّر في نفسي وكان قدوة أعتز بها.. إلى روح الكابتن / إسلام نجيب.. رحمك الله.

إلى من رأوا الجمال في ظلمات الليل.

إلى كل من أنهكته الحياة.

إلى من وجد روحه الأخرى ثم فرقهما القدر.

إلى كل من يهرب من الحياة في خياله.

هنا أكتب خيالًا فيه حياة.

لم أكن أنتمي إلى هذا العالم، ولا أظن أنني سأنتمي له يومًا ما.

شاهدت وجهي يُطل من المرآة، طالعت عينيَّ البندقيتين وبشرتي البيضاء، كنت شاحبة اليوم على غير العادة، لفت نظري في المرآة خيالٌ أبيض لمحته سريعًا، التفتّ ومسحت الغرفة بعينيَّ ولكني لم أجد شيئًا، ولكن فوجئت بمعالم غرفتي وكانت قد اختفت تمامًا.

كنت في إحدى قاعات فصلي الدراسي القديم!

طالعت فصلي القديم بانبهار، لم أَرَ هذا المكان منذ سنين عديدة.

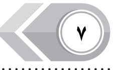
و لكن لِمَ أصبح الفصل بهذه البرودة؟

لم تعد أشعة الشمس تتخلله بدفء.

سمعت ضوضاء منبعثه من نهاية الفصل، التفت لأجد مَن ظننتها يومًا صديقتي سلمى وكـأنها لا تراني، ذهبت إليها ببطء شديد وكانت ترسم شيئًا ما، نظرت إلى ما ترسمه.

وجدتُها ترسم قلادة بها قلب صغير كانت قد أهدتني إياها من قبل، دققت النظر في شكل القلادة ووجدت الرسمة تتحرك وكأنها في فيلمٍ للرسوم المتحركة.

وجدت القلب يُفتح ليريني صورتي وأنا طفلة وبجانبي امرأة



تشبهني ولكنها ليست أمي، أنا أعرف شكل أمي جيدًا، إنها ليست هي ولكن لِمَ تشبهني هكذا؟!

سمعت دقات ساعه آتية من نهاية الفصل، جريت وأنا أتعثر من الخوف، لم يكن كل هذا طبيعيًا.

دققت النظر في الساعة المعلقة، كانت ساعة سوداء بها عقارب فضية تشير إلى العاشرة ومتوقفة لا تتحرك ولكنها تصدر صوتَ الدقات.

نظرت مجددًا إلى صديقتي ولكني لم أجدها، شعرت وكأن وجهي يحترق لَمْ أفهم لِمَ يؤلمني وجهي هكذا؟ التفت مجددًا إلى المرآة وصُدمت مما رأيت.

شعرت وكأن قدمي لا تقوى على حملي، طالعت عينيَّ وقد تحولتْ إلى لون أزرق وبشرتي صارت بيضاء في لون الدقيق، وأكثر ما صدمني هو لون شعري؛ لم يعد كَستنائي اللون، لقد أصبح شعري أبيض!!

و ملابسي تحولت من الأسود إلى الأبيض، شعرت بدُوار ورأسي لم تعد تحتمل لأحاول أن أوقظ نفسي بالتأكيد أنا أحلم، لكن لِمَ هذا الحلم حقيقي للغاية؟

- "أحلام".

- "أحلام".

– "أحلام، لو الرحلة فاتتك مش مشكلتي".

فتحتُ عينيَّ ببطء وقد أنقذني نداء أمي من هذا الحلم العجيب.

– "صحيت يا ماما خلاص ".

– "طب انجزي وشوفي حل للعياط اللي أنتي بتعيطيه وأنتي نايمة ده ".

– " أنا بعيط وأنا نايمة؟".

– " آه وصوتك بيبقى عالي، اتصرفي أنا زهقت".

بدل أن تسـألني لمَ أبكي تلومني على صوت البكاء، لم تكن صدمة لي فهذه دائماً أمي، وكأنَها مجبرة أن تكون أمي، جميع أقاربي يحسدونني على عائلتي ولكنهم حقًا لا يعلمون أي شيء.

نهضت من سريري وارتديت ملابسي، أفعل أي شيء لأخرج من هذا البيت حتى وإذا كنت سأقضي يومي مع كثير من البشر، ارتديت بنطالي الجينز وتي شيرت أسود، تركت شعري منسدلًا وتأملت في ألوانه، كان كستنائي اللون به خصل من لون الذهب، كلما ذهبت إلى صالون التجميل تنصحني العاملة أن لا أصبغه أبدًا في حين أن أمي تقول لي:

شعرك لونه باهت غيّري اللون ده.

لم أعلم أبدًا من أين ورثت شعري، لا يوجد أحد في عائلتي شعره في لون شعري ولا في تموجته يشبه شعر الغجر كثيرًا، تذكرت المرأة التي كانت في الحلم شعرها يشبه شعري كثيرًا.

أفاقني من تذكري للحلم صوت أمي تنادي مجددًا

- "أحلام، لو اتأخرتي مفيش رحلات تاني، متتأخريش حتى لو الباص عمل حادثة تكملي الطريق مشي، يقولوا على بنت سليمان سليم إنها بتتأخر؟ ".

كعادتها لا تبالي بي شيئًا، فقط تخاف مما يقوله البشر.

لم أبالِ كثيرًا بكلماتها فقد اعتدت عليها، ذهبت إلى خزانتي وأحضرت حقيبتي السوداء، بحثت عنها كثيرًا ولم أجدها فوجدت حقيبة بيضاء أخذتُها فلم أكن أريد أن أتأخر ولفت انتباهي حجاب أزرق موضوع بجانب حقيبتي، حاولت أن أتذكر ممن كان هذا الحجاب فأنا لم أشتره، تقريبًا كان من أحد أقاربي؛ تشجيعًا لي على ارتداء الحجاب.

أريد حقًا ارتداء الحجاب ولكني كلما حاولت فتح الموضوع مع أمي ترفض بشدة، ولكني قررت أن أرتديه عندما أعود سأخبرهم بقراري.

انطلقت في طريقي إلى نقطة التجمع التي اتفقنا عليها، عندما وصلت أخيرًا وجدت بعضًا من زملائي قد وصلوا، كنت بالسنة النهائية في الجامعة تخصصت في دراسة علم النفس وهو ما رحّب به أبي

كثيرًا وكرهتْه أمي لسبب لا يعلمه إلا الله.

اليوم هو يوم الفَنْ داي الخاص بالدفعة.

ذهبت لأسأل عن اسمي لأرى في أي باص سأركب، اتجهت إلى الأتوبيس وذهبت إلى أبعد مقعد عن الجالسين، يتهمني البعض بالتكبر؛ نظرًا لكوني ابنة سليمان سليم الجراح المشهور؛ ونظرًا لأني لا أتحدث مع أحد.

وضعت سماعات الأذن ونظرت من النافذة إلى بعض الأولاد يتسابقون، ابتسمت قليلًا وهنا سمعت صوتًا أكرهه كثيرًا.

- "أحلام، ممكن تشرفينا وتقعدي معانا بدل ما أنتي قاعدة لوحدك؟".

- "والله يا حسام مش عايزة، أنا مبسوطة هنا ".

نظر لي حسام في شيء من السخرية وقال:

- " هو صحيح أنتي وخالد فسختوا الخطوبة؟".

نظرت له نظرة ذات معنى وقلتُ:

- "طالما عارف بتسأل ليه؟ ".

- "لا أصل قُلْت أطّمّن عليكي، وبعدين الجامعة دي مبيستخباش فيها حاجة، صحيح مش عايزة حاجة؟ أنا موجود أهو ".

- " آه عايزة أطلب منك طلب".

نظر لي حسام في أمل وقلت قبل أن يتكلم:

- "متنساش تسلملي على هبة".

وقف مصدومًا من كيفية معرفتي بأمر ارتباطه وهزّ رأسه هزة خفيفة وذهب إلى حيث كان.

ضحكتُ في نفسي كثيرًا واستدرت مجددًا إلى النافذة عندما قاطعني صوت لا أعرفه:

- "ممكن أقعد جنبك؟".

كانت هيام فتاة هادئة للغاية أعرفها من المحاضرات لكننا لم نتكلم من قبل.

- "أكيد".

قلت لها بابتسامة وأشرت لها أن تجلس.

- "أنتي هيام صح؟".

- "ايه ده أنتي عارفاني!".

- "آه بتحضري معايا المحاضرات وسمعتهم بيندهولك كذا مرة ".

طالعتُ هيام عن قرب أول مرة أراها من قريب، كانت جميلة حقًا،

شعرها أسود مثل الليل وعيناها زرقاوان ولها غمازة واحدة في خدها الأيسر.

قالت بصوت منخفض:

- "بصراحة أنا أعرف اسمك من قبل ما يندهولك، بس مش عشان أنتي بنت دكتور سليمان سليم ".

أثارت دهشتي حقًا؛ من أين لها أن تعرف اسمي إذًا؟!

- "فاكرة ثانوية عامة؟ درس الألماني؟ سنتر الأمل؟".

يا إلهي!! تذكرتها.

- "أنتي بنت مستر نوح، ازاي معرفتكيش كل المدة دي؟ أنا ذاكرتي زي السمكة فعلًا".

ضحكت هيام وضحكت معها منذ زمن لم أضحك هكذا.

سمعنا صوتَ محرك الباص يرتفع ومعه علت الأصوات والضحكات.

انطلقنا في طريقنا إلى العين السخنة وارتفعت أصوات الموسيقى والغناء والتصفيق المبالغ فيه.

كنا في أحد أيام إبريل الربيعي، حسنًا أنا أحب كل فصول العام ما عدا الربيع، الصيف حار قليلًا ولكن يوجد البحر ولا يوجد أفضل

من البحر في وجهة نظري، الخريف وهو أمتع الفصول حيث الهواء الرائع والجو المعتدل، الشتاء بارد قليلًا ولكن به أمتع المأكولات، نأتي إلى الربيع؛ الورد المتفتح والرياح المحملة بالأتربة وحر الصيف وبرد الشتاء ومطر الخريف وامتحانات نهاية العام.

لا شكرًا أنا أفضل الفاكهة عن الورد.

- "بتيجي الجامعة علطول ليه طالما مبتحبيش الناس ومش عاملة صحاب كتير؟".

فاجأني سؤالها ولكني لم أُبْدِ أيَّ رد فعل؛ فهذه أنا كما قال لي خالد مرة:

- "أنتي مستحملة نفسك ازاي؟ أنتي باردة، مفيش حاجة بتحرك مشاعرك، باردة وهتعيشي وتموتي لوحدك".

آلمني ما تذكرت وكرهت نفسي لتذكري هذا الكلام ودائمًا من أبسط المواقف أتذكر كلامه المؤلم.

- "أنتي سرحتي فين بس؟ خلاص يا ستي متحبيش الناس عادي، أنا كمان زهقانه منهم، تيجي نروح على كوكب تاني؟".

ابتسمتُ وقلتُ لها:

- "يلا بينا نروح في داهية؟".

ضحكت هيام عاليًا وقالت:

- "يلا أنا موافقة".

سمعت صوت ضحكات قادمًا من الخلف لفت نظري مَن ضحِك عاليًا بدون تردد، التفت ورأيت شابًا لم أره من قبل، شعره طويل كستنائي اللون كشعري، ولديه غمازة في خده الأيسر مثل هيام، وعيناه مزيج من العسلي والأخضر كـأن أحدهم خلط ورقة نعناع مع بعض العسل.

ارتبك من نظرتي المفاجئة له فالتفتُ مجددًا إلى هيام التي أدركت أن صوتنا كان عاليًا بعض الشيء.

ابتسمتُ لها وقلت:

- "دخلتي علم نفس ازاي بقى؟".

- "حبيته ".

- "من أول نظرة؟".

ضحكت هيام وظهرت غمازتها مع ضحكتها.

- "آه يا ستي من أول نظرة، وأنتي من أول نظرة برضو؟".

- "لا أنا بدون أي سبب اتشديت لعالم علم النفس، غير إني عندي نوعًا ما موهبة في قراءة الناس بس صدقيني مش دايمًا بتنفع، وطبعًا أنتي

دلوقتي هتقوليلي طب قوليلي قرأتي فيا ايه؟".

فتحت هيام عينيها على مصرعيها وقالت:

- "بسم الله الرحمن الرحيم لا أنتي فعلًا موهوبة، بس صدقيني صعب أوي تعرفي أنا دماغي فيها ايه".

نظرتُ لها في تحدٍّ وقلت:

- "تحبي تجربي؟".

ابتسمت هيام ابتسامة خبيثة وقالت:

- "أوي أوي".

- "بصي يا ستي، أنتي هادية دايمًا وعنيدة بشكل ما يتوصفش، لكن عنادك ده نابع من خوف، مبتفكريش في بكرة ودايمًا ماشية بمبدأ لما نعيش لبكرة، نفسك حد يفهمك أو يتفهمك، مبتخافيش من حاجة قد ما بتخافي من الوِحدة مع إنها اختيارك، وأخيرًا قضيتي طفولة صعبة جدًا ".

راحت البسمة من وجه هيام وصمتت قليلًا.

- "سرحتي في ايه بس؟".

- "أنتي موهوبة فعلًا، لازم تستخدمي موهبتك دي صح، عالجي الناس يا أحلام، كل واحد عنده قصة أو قصص عايز ينهيها جواه

ويرجع يعيش تاني ".

- "متقلقيش هو ده هدفي ".

ابتسمت هيام مجددًا وقالت:

- "هننزل استراحة الطريق دلوقتي غالبًا، تيجي نشرب حاجة؟".

- "ماشي أنا عايزة أشرب قهوة أو نسكافيه".

- "أنا عايزة لمون، مليش في الكافيين أوي ".

انتظرنا إلى أن توقف الأتوبيس ونزلنا جميعًا من الأتوبيس، تذكرت من كان يجلس خلفنا فنظرت إليه وهو يتحرك وقد كان ينظر إليَّ بالفعل وقد ارتبك قليلًا، ابتسمت وأنا أحاول أن أتذكر أين رأيته من قبل، لم أره في الجامعة وهذا ما أثار دهشتي، فماذا يفعل هنا إن لم يكن معنا في الدفعة، وحقًا وجهه مألوف جدًا، تذكرت أول مرة رأيت فيها هيام في المحاضرة كان لدي نفس الشعور، وقد تبين لاحقًا أنها كانت معي في الدروس، أفاقني من تفكيري هيام وهي تقول:

- " أنا هروح أطلب الحاجة وأنتي احجزيلنا مكان نقعد فيه ".

- "تمام، نسكافيه من غير سكر ها".

- "ماشي يا ست الصّحّيّة".

ضحكتُ لكلامها وذهبت أبحث عن مكان هادئ، وجدت طاولة

عليها بعض الزهور وبعيدة عن الشمس جلست ووضعت حقيبتي على الكرسي وانتظرت هيام.

- "نسكافيه من غير سكر".

- "شكرًا يا هيام، أنتي اسمك حلو أوي بالمناسبة ".

- "مش عارفة ليه عمري ما حبيته ".

- "ازاي ده حلو جدًا؟ شاعري كده، صحيح أنتي بتحبي تعملي ايه بعيدًا عن الدراسه؟".

- "أنا بحب أرسم جدًا، فجأة لقيت نفسي بعرف أرسم من غير تدريب أو حاجة ".

ابتسمت لها، لطالما كرهت الرسم بدون أي سبب، فأنا لم أمسك فرشاة رسم في حياتي.

- " طب دي حاجة حلوة جدًا بتطلّعي الطاقة السلبية والحاجات دي".

- "بمناسبة الرسم في راجل قاعد بيرسم هناك".

التفتّ إلى حيث نظرت فوجدت رجلًا في العقد الرابع من عمره، شعره أبيض في أسود، يبدو عليه الوقار والرقي بالرغم من بساطة ملابسه.

نظر إليّ كأنه يعرف أنني أطالعه، لم أرتبك فأنا لا أخاف بسهولة ولكن لم أدرِ لماذا شعرت بقشعريرة كأنه يعرفني ويستطيع رؤية داخلي.

نظرت إلى ما كان يرسمه فوجدت لوحة سوداء مرسوما عليها وجه فتاة شديد البياض وعيناها بلون البحر، أما شعرها فأبيض مثل الثلج وترتدي قلادة بشكل قلب.

تجمدتُ وأنا أنظر إلى ما رسمه وكأنه رآني كيف أبدو في الحلم الذي حلمته.

- "أحلام".

أفاقني صوت هيام مجددًا.

- "أيوه".

- "أنتي علطول بتسرحي كدا، بقولك شفتي الرسمة بتاعته غريبة ازاي؟".

- "آه الرسمة غريبة فعلًا، بقولك ما تيجي نرجع الباص أنا مش مرتاحة هنا."

لم أرد أن أخبرها بالمنام لا أريدها أن تظنني مجنونة.

طالعتني هيام في ريبة وقالت:

- "ماشي مش مشكلة، اسبقيني عالباص وأنا هجيب حاجة وجاية".

هززت رأسي موافقة لكلامها وهممت بالوقوف مسرعة، وخطفت نظرة إلى الرجل فوجدته يبتسم لي!

مشيت مسرعة إلى طريقي عندما وقف الرجل واصطدم بي.

وقعت على الأرض ووقعت معي حقيبتي، سارعت بِلَمّ حاجتي وساعدني في ذلك الرجل المريب، هممت بالوقوف مسرعة ونظرت له، لم يُبدِ أي أسف أو ردة فعل، اكتفى فقط بابتسامته المريبة.

لم أقف طويلًا هرولت إلى الأتوبيس الفارغ وانتظرت هيام.

ذهبت إلى مقعدي السابق وأرحت رأسي على المقعد وحاولت ألا أفكر في أحداث هذا اليوم الغريب.

أغمضت عيني قليلًا ويبدو أني استغرقت في النوم.

فتحت عينيّ لأجد نفسي في مكانٍ ما يشبه الغابة، وأمامي لوحة كبيرة سوداء وفي يدي فرشاة ألوان!

نظرت مطولًا إلى اللوحة لأجدها فارغة تمامًا، وإذا بي أنظر إلى الألوان التي بجانبي وأخلطها ببعضها وأسكبها على اللوحة فتتحول اللوحة إلى شكل فتاة ملونة ولكن شكلها حزين للغاية، وإذا بعينيها تذرفان دموعًا حقيقية للغاية فألتقط تلك الدموع بيدي وأنفخ فيها لأفاجأ بتلك الدموع تتحول إلى مياه غزيرة تسقط على اللوحة فتدفعها

إلى الأمام، وإذا بالفتاة الملونة تأتي من اللوحة في مشهد عجيب، وإذا بالفتاة تتكلم لتقول:

- "مش عارفة أشكرك إزاي يا أحلام، اِوعي تنسي الألوان المسحورة"

هممت لأقول لها إنني لا أفهم شيئًا ولكن كان هناك أحد يناديني من مكان بعيد.

- "أحلام".

- "أحلام ربع ساعة وهاجي أخدك عشان نلحق".

يا إلهي! يبدو أنني غفوت بالباص ولكن كيف أكون مستلقية هكذا؟!

فتحت عينيّ هذه المرة على نور عالٍ، فتحت عينيّ عدة مرات وأغلقتها ولا يبدو أنني أحلم هذه المرة.

وجدت نفسي في غرفة شديدة البياض كل شيء أبيض، الجدار والمصابيح والأثاث، كيف أتيت إلى هنا؟ ولِمَ هذا المكان الأبيض؟!

أمسكت بيدي لأضربها كي أفيق ولكن بلا فائدة، يا إلهي! أين أنا هل خطفني أحد؟!

وجدت مرآة فجريت إليها أتحقق من وجهي لأجد كابوسي يتحقق؛

وجهي شديد البياض وشعري أبيض كالدقيق، عيناي بلون المحيط

وملابسي بيضاء، لا بد أنها مزحة ولكن حتى إن كانت مزحة لن يستطيع أحد أن يغير لون عينيّ.

كنت أرتدي فستانًا أبيض فضفاضًا يتناسب مع هذا الجنون الأبيض الذي أنا فيه.

كان الباب الأبيض يطرق مرة أخرى.

- " أحلام افتحي".

لم أكن خائفة من أن أفتح الباب فماذا يوجد أسوأ من هذا؟ ولكني بالطبع كنت مخطئة فتحت الباب لأجد الرجل الوسيم الذي كان جالسًا بالخلف صاحب العيون العسلية.

ولكن تبدلت عيون العسل بعيون المحيط وشعر الكستناء بشعر أبيض تمامًا مثلي!!

إن لم يكن هذا حلمًا فماذا يكون يا ربي؟

- "أحلام، اتأخرتي كدا ليه؟ قلقتيني عليكي ".

- "ها؟".

- "أنتي لسه نايمة ولا ايه؟ هنتأخر كدا عالملكة ".

- "ملكة ايه؟".

نظر لي هذا الذي لا أعلم اسمه نظرة مَن لا يصدق.

- "طيب احنا كدا هنتأخر بجد يلا بقى نمشي".

ثم جذبني من يدي، شددت يدي في سرعة ونظر لي بجدية حين قلت:

- "أنت مين؟ بص أنا مشفتكش غير في الباص أنا معرفكش عشان آجي معاك، وبعدين إيه المكان ده؟ وازاي عينيّ بقى لونها كدا؟ وأنت كمان عنيك كانت عسلي!"

نظر إلى كأنني مجنونة.

- "أحلام، لو أنتي قايمة فاقدة الذاكرة عرفيني عشان نجيب من الأول ".

- "اعتبرني فاقدة الذاكرة، أنت مين؟ وأنا بعمل ايه هنا؟!".

أخذ نفسًا طويلًا ثم قال:

- " أنا فارس خطيبك، لو بصيتي في إيدك هتلاقي دبلتك مكتوب عليها اسمي".

رفعت يدي بسرعة ونظرت إليها فوجدت دبلة ذهبية رقيقة، نزعتها من يدي ونظرت داخلها فوجدت أحرف اسمه محفورة برقة.

- "طب أنا بعمل ايه هنا؟ وليه كل حاجة لونها أبيض؟".

- "أنتي فعلًا فاقدة الذاكرة، أنتي اتخبطتي وأنتي نايمة؟".

- "لا متخبطش أنا آخر حاجة فاكراها الباص والحلم، هو احنا سنة كام؟".

ضيّق فارس عينيه وقال:

- "نوفمبر ١٩٢٢، أنتي متأكدة أنك متخبطيش؟ أنا سايبك امبارح زي الفل".

دارت رأسي غير مصدقة؛ هل عدت بالزمان إلى الوراء ولكن كيف؟!!

لقد كنت أتمنى دومًا أن أعيش في عالم مختلف عن هذا الذي أعيشه، هل تحققت أمنيتي أخيرًا؟ كنت دائمًا ما أقول لقد ولدت متأخرة جدًا.

نظرت إلى فارس وقد تملّكني الحماس والخوف، أيُعقل؟

- "كنت بتقول حاجة عالملكة؟".

- "الملكة ميرا، صحيح احنا لازم نمشي دلوقتي يلا".

نظرت له مطولًا.

- "متخافيش مش هاكلك احنا بنروح كل يوم بالفعل".

- "بنروح كل يوم بنعمل ايه؟".

حاول فارس إخفاء ضيقه ولكنه ابتسم وقال:

- "هقولك في السكة بس يلا لازم نتحرك دلوقتي، بالمناسبة بصي وراكي كدا عالحيطة ".

نظرت ورائي على الحائط فوجدت صورة لي مع فارس مبتسمة.

كيف يكون هذا حقيقيًّا للغاية؟ أنا أبدو سعيدة جدًا في الصورة ولكن لم أرتدِ نفس الملابس وفارس أيضًا يرتدي نفس الملابس البيضاء.

سمعت صوت الباب يفتح وفارس يقف عند الباب،

فارس اسمه أكثر من رائع أحببت اسمه.

كان ينظر إليّ بابتسامة مشرقة وقال:

- "أنتي كل يوم بتعيشيني في قصة جديدة ".

- "بس أنا خايفة من قصة النهارده أوي ".

- "متخافيش أنا معاكي ".

ثم مد يده إلى قائلًا:

- "واثقة فيا؟".

ثم بدون أي سبب أفهمه قلت:

- "واثقة فيك ".

ثم مددت يدي إليه ليمسكها ويخرج بي إلى الخارج.

في البداية ظننت أنني دخلت إلى فيلم للرسوم المتحركة، أغلقت عيني وفتحتها عدة مرات، المنازل كلها ملونة، هناك منزل لونه أصفر وآخر أزرق، ومنزل بنفسجي ومنزل أخضر، وما أثار دهشتي أن الأناس الخارجين من المنازل يرتدون ألوانًا مثل منازلهم، ليس هذا فحسب بل شعرهم وأعينهم بنفس اللون!!

كنت فاتحة فمي مثل البلهاء من الدهشة!!

- "من شكلك كدا واضح إنك مستغربة".

- "أنا أول مرة أشوف ناس كدا كل حد لابس لون وحتى عنيهم وشعرهم نفس اللون".

- "ما أنتي مش في أي حتة، أنتي في رينكلير ".

- "رينكلير؟".

- "بما إنك ناسية كل حاجة هقولك من الأول ".

كان المشهد غريبًا، إنْ أحدٌ قال لي البارحة إنني سأكون في مدينة غريبة لا أعرفها مع شخص غريب تمامًا عني لكنتُ ضحكت كثيرًا.

ولكن لمَ لا أشعر أنه غريب؟ أشعر معه بالراحة المطلقة، وكأنني أعرفه منذ زَمن كما أنني أشعر أنني أعرف هذا المكان بالرغم من غرابته.

- "الأساطير والحكايات بتقول إن المدينة دي سحرية، اتبنت فجأة وفي يوم وليلة، الحكاية بتقول إن كان في أختين، واحدة طيبة وواحدة شريرة، الشريرة كانت عايزة تخلص من أختها وكانت بتحب الرسم وجاتلها فكرة إنها ترسم مدينة كل سكانها من الألوان وبالفعل رسمتها وألقت عليها تعويذة سحرية خلت المدينة دي حقيقة، وسمتها رينكلير وحبست فيها أختها، والمفروض إن أختها دي هي الملكة ميرا، بس يا أحلام دي الحكاية ".

اندهشت مما قاله فارس أيعقل أن تكون هذه هي الحقيقة؟!

- "وايه القصة الحقيقية بقى؟".

ابتسم فارس ابتسامة عذبة فظهر طابع الحسن في ذقنه.

- " الله أعلم، محدش عارف الحقيقة فين ".

- "بس أكيد أنت عارف".

ابتسم فارس مرة أخرى وقال:

- "صدقيني مش عارف، الملكة كتومة جدًا حتى معانا احنا الرسامين".

- "احنا الايه؟".

نظر لي فارس مندهشًا:

- "أنتي لسه مفتكرتيش حاجة!؟".

غضبت قليلًا من سؤاله؛ أيظن أنني أتصنع أو شيئًا من هذا القبيل.

- "والله ما فاكرة حاجة، أنا لو فاكرة هسأل ليه يعني؟".

ضحك فارس وضحكت معه عيناه وقال:

- "تعرفي إن أنا الوحيد اللي عندي القدرة إني أنرفزك ".

أغاظني كثيرًا ما قال:

- "ازاي بقى؟ أنا مبتنرفزش بسهولة ".

- "طب ما أنتي اتعصبتي أهو بسهولة".

- "هو أنا اتخطبتلك ازاي؟ أنا عايزة أفهم".

- "حبتيني من واحنا لسه صغيرين ".

سرحت في كلامه، إذًا أنا أعرفه منذ الطفولة هل لهذا يعرفني جيدًا؟

لفت نظري صوت أحد اللابسين اللون الأصفر وهو يصيح في أحد الواقفين باللون الأصفر أيضًا:

- "السحرة هيعدوا وسعوا".

وإذا بصوت خيول تجري قادمة من بعيد وتقترب رويدًا رويدًا.

في منظر مهيب عشرات الخيول السوداء يقودها أناس يرتدون

السواد الكامل وعيونهم تشبه الكهف الأسود المخيف وشعرهم في لون سواد الليل المرعب، يا إلهي لِمَ انقبض قلبي هكذا؟

أخذوا يركضون بخيولهم إلى أن تخطونا، ثم نظرت إلى فارس لأجد وجهه صار خاليًا من التعبير يبدو أنه يمقتهم.

- "بيعملوا ايه السحرة؟".

- "محدش عارف، أوامر الملكة بتتنفذ وبس هي الوحيدة اللي بتتكلم مع السحرة ".

لم يكن هذا الموضوع عاديًا، هناك لغز ما في هذه القصة، شعرت بالحماس لمقابلة الملكة ومحاولة معرفة ما يحدث، أعلم أنا فضولية كالقطط ولكن لا تعطي القطة كرة بها ألعاب مخفية تسمع صوتها ثم تقول لها إنها فضولية.

- "وايه موضوع الرسم ده؟ أنا مبحبش الرسم ومبعرفش أرسم ".

نظر لي فارس نظرة عدم التصديق مجددًا ولكنه قال:

- "استني لما نوصل و أنتي هتشوفي بتعرفي ترسمي ولا لا، أنا لو مش شايف إن أنتي أحلام كنت قلت إنك من عالم تاني ".

ابتسمت له وأنا أفكر:أنا فعلًا من عالم تاني.

مررنا بكثير من البيوت الملونة إلى أن وصلنا إلى قصر كبير لونه أحمر

ويبدو عليه الفخامة والرقي ولكنه به شيء مُقبِض.

فتح لنا الباب رجلان يرتديان اللون الأصفر ودائمًا ما أجد أصحاب اللون الأصفر حزينين لم أدر ما السبب.

- "هما اللي لابسين أصفر ايه قصتهم؟".

- "الفقراء".

- "نعم!".

- "فقراء رينكلير بيلبسوا الأصفر ".

- "هو كل لون طبقة مختلفة؟".

- "أيوه، أصحاب اللون الأصفر الفقراء، الأزرق لأذكياء رينكلير ودول من أصحاب الملكة، الأخضر لأصحاب العلم، والبنفسجي لأغنياء رينكلير، الأسود للسحرة، أما الأبيض بقى زيّنا كدا للرسامين أصحاب الموهبة الأولى في رينكلير.

- "وليه بقى الموهبة الأولى؟".

أخفض فارس صوته حتى اضطررت إلى أن أقترب قليلًا كي أسمعه.

- "عشان رغبة الملكة في خلق اللوحة".

أخفضت صوتي أنا الأخرى دون أن أدري ما السبب:

- "لوحة ايه؟".

- "لوحة الشابة اللي هتحققلها الخلود الأبدي ".

- "ده اللي هو ازاي يعني؟ ".

نظر لي فارس نظرة ذات معنى بعينيه الزرقاوين اللتين تمنيت أن تعودا بلون العسل وقال:

- "الملكة بقالها سنين بتحاول تخلينا نرسملها لوحة الفتاة البريئة اللي زي ما هي بتقول هتخلي السحرة يحولوا اللوحة لملامحها عشان تفضل طول عمرها عايشة وجميلة".

- "أنت شايفها جميلة؟".

اتسعت ابتسامة فارس حينما أيقنت أنه تمكن مني وقال:

- "ده سؤال وفخ في نفس الوقت؟".

صمت فقد أظهرت نفسي كثيرًا.

- "أنا بسأل عادي ".

- "لما تشوفيها اِبقي أحكمي بنفسك هي حلوة ولا لأ، وعلى فكرة أنا مش مصدق موضوع الخلود الأبدي اللي هي بتقوله ده، الحكاية أكبر

من كدا، لو كان الموضوع فعلًا زي ما هي بتقول ليه مابتخليناش نقابل السحرة أبدًا؟".

فكرت في كلامه، هذا الضرب من الجنون ممتع، هل أشعر بالخوف؟ نعم قليلًا ولكن ما تمنيته تحقق؛ لقد أصبحت في عالم آخر غير العالم الذي لطالما كرهته.

- "فارس".

- "نعم".

- "لو عرفت إني مش أحلام اللي أنت خطبتها هتفضل معايا برضو؟".

ابتسم ابتسامة عذبة وقال:

- "أنا مش عارف ايه اللي بيحصل عندك ولا فاهم حاجة، لكن الأكيد إنني هختار أبقى معاكي في كل وقت وفي كل مكان".

يا إلهي، لِمَ يدق قلبي هكذا متأثرًا بكلامه؟

قطع تلك اللحظة الجميلة منظر مهيب، كنا وصلنا إلى سلم القصر وحين صعدنا السلم رأيت البلدة كلها من أعلى وكان يحاوط البلدة الملونة بحر لونه ذهبي نعم ذهبي ساطع، في لون لا يصدقه بشر، أول مرة أفهم معنى آية: (ويخلق ما لا تعلمون).

البحر الذهبي شيء لا يصدقه عقل ولا عين.

- "كل مرة بتيجي هنا بتبصي للبحر نفس البصة، كأنك بتشوفيه أول مرة".

- " هو احنا بنيجي هنا بقالنا قد ايه؟".

- "٣سنين".

- "ومزهقناش من محاولة رسم نفس الحاجة ".

- "أوامر الملكة نعمل ايه؟ ".

دخلنا إلى القصر بعد تجاوزنا الحراسة ولم تكن تلك المرة من أصحاب اللون الأصفر بل كانوا من السحرة السُّود.

دققت النظر إلى القصر الفخم وكان كل شيء به لونه أحمر، ولوح كثيرة على الجدران معظمها لوجه فتاة رقيقة الملامح تبدو وكأنها نائمة، لم أدرِ لِمَ جميع اللوحات تُظهر الفتاة مغمضة عينيها.

مشيت إلى حيث قادني فارس، إلى غرفة بابها أحمر مكتوب عليه بحروف بيضاء:

(رسامي رينكلير)

مد فارس يده إلى الباب قائلًا:

- "جاهزة؟".

ابتسمت له وهززت رأسي موافقة، ثم مد يده وفتح الباب لأجد غرفة مليئة بكثير من مرتدي الأبيض وموضوعا لوحات بيضاء عديدة وجميعهم يرسمون على تلك اللوحات.

اتخذ فارس مقعده وجلس عليه واتخذت مقعدي وجلست أنا الأخرى لأشعر بالحماقة التامة؛ كيف سأرسم وأنا لا أستطيع أن أرسم قلبًا؟!

همست إلى فارس بصوت منخفض كي لا يسمعني أحد:

- "أنا مبعرفش أرسم، وبعدين مفروض أرسم ايه أساسًا؟".

- "مفروض ترسمي واحدة شبهك".

- "اييبه؟".

- "زي ما بقولك كدا؛ واحدة بيضا بياض شديد وشعرها أبيض وعيونها زرقا، وبتبكي بس لابسة فستان أحمر ".

- "وأنا هعمل ده ازاي؟ أنا مبعرفش أرسم".

- "زي ما كنتي بترسمي قبل كدا امسكي الفرشاة وجربي ".

تنهدت وقد بلغ الضيق رأسي؛ أنا أكره الرسم، لِمَ هذا العذاب؟!

أمسكت بالفرشاة وجلست أرسم خطوطًا لا أدري ماذا ستكون، تذكرت هيام وحبها للرسم، تذكرت حلمي الأول الذي حلمته يوم الرحلة، صديقتي سلمى وهي ترسم القلب الذي أهدتني إياه من قبل، يا تُرى أين هذه القلادة الآن؟ لقد ألقيتها في القمامة منذ زمن.

لا أدري كم استلقيت على هذا الكرسي أرسم ولكن أفاقني صوت فارس الذي بدأت أحب سماعه.

- "شوفتي بقى إنك بتعرفي ترسمي؟ ".

نظرت إلى ما رسمته وقد دُهشت، لقد رسمت وجه فتاة بريئًا للغاية ولكنها في غاية الحزن، لم يكن عقلي منتبهًا إلى ما كنت أرسمه ولكن يبدو أن يدي كانت تعرف ما أرسمه جيدًا.

دهشت من قدرتي على الرسم أنا التي لم أمسك فرشاة في يوم من الأيام أستطيع أن أرسم بتلك القدرة المدهشة.

- " انتباه؛ الملكة ميرا".

صاح أحد اللابسين اللون الأسود وقد أفاقني من حالة الذهول التي حلّت بي.

فُتح الباب على مصراعيه وقد دخلت امرأة فاتنة الجمال، للوهلة الأولى تظنها حورية أو ما شابه، شعرها أحمر طويل أملس يبدو ناعمًا

كالحرير، وعيناها في سواد الليل المظلم، وترتدي ثوبًا أحمر اللون كقصرها، الغريب أنها الوحيدة التي عيناها مختلفتان عن لون شعرها.

نظرت إلينا جميعًا في نوع من الاستعلاء وقالت:

- " أنا مش عارفة أشكركم ازاي على تضيع وقتي كل يوم؟".

مشيت بخفة وتكبر شديد ونظرت إلى اللوحات وهي تقول:

- " بقالي سنين نفسي أوافق على رسمة واحدة، لا وأنتو المفروض الموهبة الأولى في رينكلير بس يا خسارة موهبة ملهاش لَزْمة طالما مش عارفين ترسموا الرسمة".

كان الجميع في حالة من الصمت التام، حضورها خلق نوعًا من الخوف في الحاضرين.

توقفت فجأة عند لوحتي:

- " حتى أنتي يا أحلام أمهرهم بس مش عارفة ترسمي البنت".

- "هي البنت دي ليه مهمة عندك كدا يا مولاتي؟ ".

شهق الجالسون شهقة كبيرة ونظر لي فارس نظرة معاتبة وقالت ميرا:

- "أنا متعودتش منك الأسئلة دي يا أحلام أنتي ايه اللي جرالك؟ ".

ثم زفرت زفرة طويلة وقالت في ارتباك لم يلاحظه أحد غيري:

- " زي ما قلت قبل كدا؛ في حكاية بتقول إن البنت اللي بالملامح دي لو اترسمت صحّ واتسحرت هتخليني محافظة على جمالي مدى الحياة وأنا مش فاهمة أنا بشرحلكوا ليه أساسًا؟ نفذوا الأوامر وأنتو ساكتين".

أشار الجميع برأسهم موافقين وهَمّ أحد اللابسين الأسود فجأة:

- "مولاتي مين مدايقها؟".

التفتّ بسرعة إلى صاحب الصوت وأنا أتمنى أن لا يكون هو.

يا إلهي، ماذا يفعل هنا؟! إنه خالد!!

- "مفيش حد يقدر يدايقني يا خالد".

إنه هو!! هل أتى إلى هنا كي يجعل حياتي جحيمًا مرة أخرى؟ يا إلهي، لا أصدق.

طالعت وجهه الأبيض وشعره البني، عينيه ذواتي اللون البني اللتين لطالما أحببتهما، تفاصيله التي عشقتها ورغبت في رؤيتها طوال الوقت.

ولكن اختلف لون عينيه ليكون بسواد الليل المُقبض الذي يذكرك بأحد الجبال المسكونة.

- "طبعًا مولاتي محدش يقدر ".

لاحظت نفاقه الزائد معها، إنه يرتدي الأسود؛ إذًا هو من السحرة.

ابتسمت في سخرية متذكرة مرة ناقشنا فيها موضوع السحر، كان يقول إنه لا يؤمن بهذه الخرافات، لو علم أنه في زمان آخر أنه من يصنع السحر نفسه لما كان جادلني.

قالت ميرا في مللٍ واضح:

- "أنا ماشية وأرجوكوا آجي بكرة ألاقي حاجة تستاهل".

ثم سارت مبتعدة وسار وراءها حشدها من السحرة.

كان فارس ينظر إليّ نظرة لم أفهمها فسألته مستفسرة؟

- "بتبصلي كدا ليه؟".

- " أصلك أول ما شفتي خالد كبير السحرة عينك لمعت أوي، ممكن أعرف السبب؟".

ارتبكت قليلًا وقلت متلعثمة:

- "أنا مش عارفة أنت بتتكلم على ايه".

- "طيب يا أحلام على راحتك، يلا نمشي مهمتنا النهارده خلصت".

سرنا في طريقنا إلى الخارج وقد لاحظت في طريقي أنه لا توجد شمس، كنت أظن أن السبب أن الشمس كانت غائبة فبادرت بسؤال فارس:

- "هي الشمس مش طالعة النهارده؟".

- "ايه؟".

- "الشمس؟".

نظر لي فارس كمن كنت أتحدث بلغة غريبة.

- "وتطلع، ايه الشمس دي؟".

نظرت له في عدم تصديق.

- "هو بجد مفيش شمس هنا، ولا قمر؟".

- "أيوه في قمر بس موضوع الشمس ده أنا مش فاهمة، تطلع، ايه الشمس دي؟".

قبل أن أتكلم لفت نظري فتاة من مرتدي الأصفر تجري في سرعة تجاه بيتها الملون بالأصفر، سرت في اتجاهها ببطء وقد بلغتني الدهشة وناديت عليها:

- "هياااام ".

نظرت خلفها في رعب ولم تتوقف عن المشي ونتيجة لهذا تعثرت ووقعت على الأرض.

جريت إليها وساعدتها على الوقوف وقالت في سرعة وخوف:

– " أنا سبته والله العظيم سبته، ممكن تسأليه لو حابة والله مليش دعوة بيه دلوقتي".

نظرت إليها في عدم فهم وقلت لها:

– " أنا مش عارفة أنتي بتتكلمي عن ايه بس اهدي، أنا أحلام".

– "أنتي من رسامين الملكة؟".

– "أيوه بس أنا والله معرفش اللي أنتي بتحكي عنه ده، أنا عايزة أساعدك، ممكن؟".

نظرت لي هيام نظرة طويلة ثم قالت:

– "ماشي بس أعرف الأول أنتي عرفتي اسمي منين؟ وعايزة تساعديني ليه؟".

– "ماشي بس مش هعرف أتكلم معاكي هنا ".

فحصتني هيام بعينيها وقالت:

– "ادخلي بيتي نتكلم جوا".

التفتّ ورائي وأشرت إلى فارس أن يذهب هو فنظر لي وقال:

– " متتأخريش هعدّي عليكي بعد ساعة أروحك".

لم أكن من الفتيات اللاتي يجب توصيلها، ولكني تذكرت أني لا

أتذكر مكان البيت فأشرت له برأسي موافقة وتبعت هيام إلى بيتها.

تأملت البيت الأصفر وقد لفت انتباهي مدى بساطته. قال لي فارس إن أصحاب اللون الأصفر هم الفقراء وقد وضح هذا في كل شيء حتى في حجم المنزل، المنازل الصفراء هي أصغر المنازل تشبه الأكواخ كثيرًا.

دخلت إلى بيت هيام الأصفر وقد آلمتني عيني قليلًا من كثرة اللون الأصفر في الجدران والأثاث والآنية وكل شيء.

نظرت لي هيام وقالت:

- "عرفتي اسمي ازاي؟".

فكرت قليلًا قبل أن أقص عليها الحكاية من البداية ثم قلت:

- " أنا هقولك على كل حاجة".

- "وأنا سمعاكي".

- " أنا كنت صاحية في يوم عادي في سنة ٢٠٢٢، كنت رايحة رحلة تبع الجامعة واتعرّفت عليكي فيها، فارس كان معانا في الرحلة دي وكانت أول مرة أشوفه، نزلنا أنا وأنتي استراحة في نص الطريق وقابلت راجل غريب كان بيرسم لوحة فيها بنت شبه اللي الملكة عايزانا نرسمها، وبعدين الراجل خبطني ووقعت ولمّ معايا حاجتي في الشنطة، وزيادة على ده خطيبي السابق هنا وهو من السحرة".

قلت هذا كله في نفس واحد كأنني كنت منتظرة اليوم كله لأقول ما حدث.

كنت متوترة وأتكلم بسرعة شديدة.

- "و كمان أنا مخطوبة لفارس اللي مشفتهوش إلا دقيقة في حياتي".

كانت هيام تنظر لي في بلاهة:

- "وأنتي طبعًا مش هتصدقي اللي بقوله ده؛ لأنه مش واقعي".

- "أنا مصدقاكي".

- "بجد؟".

- " أيوه بجد، من كلامك كدا أنتي جاية من المستقبل، ممكن تسألي أهل العلم على الموضوع ده أكيد هيفيدوكي بشيء يا أحلام".

- "أهل العلم دول أصحاب اللون الأخضر؟".

- "أيوه، أنتي مستغربة كدا ليه؟".

- "أصل مفيش في المكان اللي أنا جاية منه ألوان كدا، مفيش تمييز في الألوان زي هنا، يعني كلنا بنستخدم ألوان كتير عادي ".

شهقت هيام وقالت:

- "بجد؟ أنا كنت لابسة ايه؟"

ضحكت وقلت لها:

- " كنتي لابسة فستان أزرق وشعرك أسود وعنيكي زرقا زيي كدا دلوقتي ".

ابتسمت هيام وظهرت غمازتها وقالت:

- "الله ده أكيد حلم ".

- "لا والله كان حقيقة، أنا جاوبتك عاللي أنتي عايزاه، احكيلي".

- "على ايه؟".

- "على اللي أنتي كنتي بتقولي إنك سبتيه ".

تطلعت هيام إلى الأرض وقالت بصوت منخفض:

- "سامر".

- "سبتي سامر ليه بقى؟".

رأيت اللمعة تبرق في عين هيام الصفراء، كم تمنيت أن تعود عيناها إلى اللون الأزرق؛ اللون الأصفر في العين غير مريح تمامًا.

- "مكنتش عايزة أسيبه أبدًا، كله بسبب أمجد".

- "أمجد مين؟".

- "أمجد ابن خالي، صاحب اللون البنفسجي صاحب المال ".

- "و هو ايه اللي دخله في علاقتك بسامر؟".

- "أمجد اللي متحكم في حياتي كلها ".

- "و ده ليه؟".

- " عشان احنا من الفقراء يا أحلام، أمجد اللي بيتفضل علينا ويديلنا فلوس ".

- " بيتفضل عليكو ازاي؟ أنتي بنت عمته يعني من دمه ده حقك عليه".

نظرت لي هيام نظرة مليئة بالحزن وقالت:

- "مش في رينكلير الكلام ده، احنا عايشين بالعافية يا أحلام، أنا بخيط الهدوم للأغنياء ويادوب بنعيش أنا وأمي، الحياة مش لينا، ولا الحب كمان".

- "طب ليه أمجد خلاكي تسيبي سامر؟".

- "عشان هو عايز يتجوزني ".

- "وأنتي موافقة؟".

- "لا أنا مبحبهوش ".

ثم انفجرت هيام باكية، حاولت تهدئتها فهدأت قليلًا وتابعت:

- " أنا مش بس مبحبهوش أنا بكرهه ".

- "طب ليه الكره ده؟ ".

- "عشان طول عمره معاملته وحشة معايا أنا وأمي، علطول محسسنا بالفضل وإنه بيعمل اللي عمر ما حد عمله ".

نظرت لها في أسف شديد وقلت:

- "طب ايه الحل؟ مش ممكن تتجوزي حد مش عايزاه".

- "أنا مش عارفة أعمل ايه يا أحلام، حقيقي مش عارفة، وهددني إني لو مقطعتش علاقتي بسامر هينفيه لمكان بعيد".

- "ينفيه!!".

- "أيوه، أمجد له نفوذ واسع جدًا، يقدر يعمل أي حاجة هو عايزها".

فكرت في كلام هيام، لا بد أن يكون لهذه القصة حلٌ ما.

- "طب وسامر عمل ايه لما قطعتي علاقتك بيه؟".

- "حاول يعرف مني السبب".

وغرقت عيناها بالدموع مرة أخرى وتابعت:

- " قلتله إني معتش بحبه ".

- "و طبعًا أنتي عملتي كدا عشان تحميه".

- "أيوه".

قالتها بصوت مخنوق.

- "سامر من أصحاب لون ايه؟".

- "اللون الأزرق".

- "صاحب موهبة الذكاء؟".

- "أيوه ".

ابتسمت لها وقلت:

- "يبقى بعد ما يهدَى شوية هيعرف إن أنتي كنتي مش بتقولي الحقيقة، غير إن احنا لازم نشوف حل للموضوع ده".

- " طب هعمل ايه؟".

- " أنا هقولك".

نهضت مسرعة وقلت لها:

- "يلا هنروح بيتي، أنتي عارفة ازاي أوصله؟".

- "آه البيوت البيضا في مكان الأشجار ".

- "طب يلا ".

شددتها من يدها متناسية كل شيء عن فارس الذي أوصاني أنه

سيأتي ليوصلني.

– "أنتي ايه موهبتك يا هيام؟ أنا أخدت بالي إن كل حد هنا عنده موهبة".

– "ما عدا الفقراء ".

– "ده اللي هو ازاي يعني؟ ".

– "إحنا مش مسموحلنا إننا نظهر موهبتنا".

– "وده ليه؟ ".

– "عشان احنا في نظر الملكة مجرد خدم".

قالتها هيام بشيء من الحسرة.

– " طب وأنتي ايه هي موهبتك اللي أنتي خافياها يا هيام؟".

نظرت هيام حولها في شيء من الخوف وقالت بصوت منخفض:

– " أنا بعرف أرسم ".

– "ده بجد؟".

– "آه بجد بس مينفعش أتكلم في الموضوع ده ".

– "أنتي جربتي قبل كدا ترسمي اللوحة اللي الملكة عايزاها؟".

– "لا بس شايفة إنها سهلة جدًا تترسم، غير إني حلمت مرة بعم

ضياء بيرسم اللوحة دي ".

- "عم ضياء مين؟".

- "عم ضياء من أهل العلم صاحب اللون الأخضر ".

- " ممكن توصفهولي ".

- "شعره أخضر زي عينه وتحسيه عليه الهيبة كدا، وله نظرة حادة تحسي إنه بيشوف اللي جواكي ".

يا إلهي، أيمكن أن يكون الرجل الذي قابلته في الاستراحة؟!

- " طيب احنا هنروح بيتي دلوقتي وبعدها عايزاكي توديني عند عم ضياء ".

- "ماشي، احنا وصلنا عامةً بيتك أهو ".

نظرت إلى البيت الذي تركته صباحًا وقد شعرت أنني اشتقت إليه، يبدو أنني كنت أعيش هنا حقًا بدأت أشعر بالألفة والراحة في رينكلير على الرغم من غرابة كثير من الأحداث، أشعر وكأنني أريد أن أساعد الجميع هنا أريد أن أعرف ما سر اللوحة التي تريدها الملكة، وأن أحل قصة هيام وسامر.

وفارس.

أريد أن أعرف قصتي معه كيف أحببته وكيف أحبني.

فتحت باب البيت ودخلت أنا وهيام، لم أدر لِمَ أتيت إلى هنا في المقام الأول؟ ولكني أشعر أن هناك شيئا مهمًّا هنا.

- "بيتك جميل".

قالتها هيام بصوت منبهر.

- "شكرًا، تحبي ترسمي؟".

اتسعت عينا هيام وقالت:

- "لا مقدرش أخاف يا أحلام، لو حد شافني الملكة هتعاقبني ".

- "محدش هيشوفك، استني هدورلك على لوحة ترسمي فيها، أكيد في واحدة هنا ".

ثم بين أغراض كثيرةٍ بيضاء وجدت لوحة فارغة ناولتها لهيام التي نظرت لها كطفل ينظر إلى قطع الحلوَى وقالت:

- "أنا مش عارفة أقولك ايه شكرًا بجد".

غمزت لها وقلت:

- "العفو، تعرفي ترسمي لوحة البنت البريئة؟".

- "أيوه أعرف ".

- "طب يلا ابدئي لحد ما ألاقي اللي بدور عليه".

ذهبت هيام إلى مكتب في الزاوية لونه أبيض ككل شيء وجلست ترسم عليه في حين كنت أبحث عن أي شيء يساعدني.

فتحت خزانة الملابس لأجد كل الملابس البيضاء مرتبة في نظام، يبدو عليّ أنني منظمة للغاية في هذه الحياة.

كنت أهم بغلق الخزانة إلى أن لفت نظري حقيبتي البيضاء التي كانت معي يوم الرحلة، شهقت شهقة عالية وجذبت الحقيبة في سرعة شديدة.

- "هياااام، الشنطة اللي كانت معايا في الرحلة أهي ".

- "بجد؟!".

- "تعالي بسرعة ".

فتحت الحقيبة وأنا أحاول أن أجد أغراضي التي وضعتها يوم الرحلة ولكن خاب أملي، لم أجد إلا قطعة ورقية سوداء.

- "هو أنتي كنتي حاطة في شنطتك ورقة بس؟".

- "لا طبعًا، أنا كنت حاطة حاجات كتير بس مفيش حاجة منها موجودة، ومكنش في الشنطة أي ورق ".

ثم استعدت ذاكرتي قائلة:

- "الراجل اللي خبط فيّا حط الحاجات معايا في الشنطة، أكيد الورقة

دي منه".

- "طب افتحيها".

هممت بفتح الورقة المطوية لأجد كتابة بالخط الأبيض:

(الحل في الحلم، وفي ذكائك يا أحلام).

ما معنى هذا الكلام؟

- "حلم ايه؟".

- "أنا نسيت تمامًا الحلم، حلمت إني برسم البنت البريئة وخلطت ألوان كتيرة ببعض وكبيتها على اللوحة وأول ما عملت كدا البنت عيّطت اللي في اللوحة وأخدت دموعها دي ونفخت فيها وبعدها البنت دي طلعت من اللوحة وشكرتني ".

- "الحلم ده غريب أوي".

فكرت مطولًا في الحلم والأحداث التي تحدث في رينكلير وقلت لهيام:

- "بقولك ايه، عم ضياء من أصحاب العلم صحّ؟".

- "آه اشمعنَى؟ ".

- "وديني عنده".

- "ماشي بس ليه؟".

- "لما نروح هتعرفي".

ثم هممت واقفة ودسست الورقة في جيب الفستان وأخذت اللوحة التي كانت ترسم فيها هيام وقلت لها قبل أن تقول شيئًا:

- "متخافيش مش هقول إنك أنتي اللي رسماها إلا في الوقت المناسب".

نظرت لي هيام في عدم فهم فجذبتها من يدها إلى الخارج فلا أريد أن أضيع وقتًا.

في طريقنا إلى منزل عم ضياء رأيت هيام تنظر بتطلع إلى المنازل الزرقاء وعيناها تنظران بحب شديد.

- "حبتيه ليه؟"

- "ها".

- "سامر حبتيه ليه؟".

- "و هو في سبب للحب؟ ميبقاش حب لو في سبب".

ابتسمت لكلامها فهو منافٍ تمامًا للمنطق ولكن متى كان المنطق عاملًا في الحب؟

- " أنا كمان حبيت مرة ".

- "خطيبك اللي كان في زمانك".

ابتسمتُ ونظرت لها في امتنان كم هي رائعة هيام، تصدقني وتتقبلني دون أي شروط.

- " أيوه، كنت بحبه بس اكتشفت إنه مكنش حب حقيقي".

نظرت لي هيام في لؤم وقالت:

- "و اكتشفتي ده ازاي ها؟".

- "لما شفت فارس ".

- "لما شفتيه في الباص في زمانك مش هنا صح؟".

احمرت وجنتاي خجلًا وقلت:

- "أول ما شفته كنت عارفة إني هحبه".

- "وحبتيه؟".

- "و حبيته".

- "كارهة إني أقطع الكلام الجميل ده بس احنا وصلنا".

نظرت إلى البيت الأخضر المريح بشكل لا يوصف، حقًا اللون الأخضر يليق بأصحاب الجنة.

طرقت هيام الباب وانتظرت أن يفتح في توتر.

في غضون ثوان فتح لنا الباب رجل لونه أخضر شهقتُ شهقة عالية لا من غرابة لونه ولكن لأنه نفس الرجل الذي ارتطم بي في الرحلة صاحب الرسمة.

نظرت لي هيام في عدم فهم ولم أستطع أن أنطق بكلمة.

- "أهلًا بيكي يا هيام، شرفتينا يا أحلام".

- "حضرتك تعرفني؟ ".

- "مين ميعرفش أمهر رسامات المملكة ".

- قالت هيام في سرعة:

- "كنا عايزين نسأل حضرتك في حاجة".

نظر لي وقال:

- "الرسمة صح؟ اتفضلوا ".

دخلتُ ومعي هيام إلى البيت الأخضر والذي كان كل شيء به أخضر إلى درجة أنه كان يوجد نحلة على الحائط يبدو أنها تظن المنزل حديقة.

كانت أعين الرجل الخضراء ثاقبة مثلما كان في الاستراحة يشعرك وكأنك تحت جهاز للأشعة.

كنت أنظر إلى شعره الأخضر وأنا ممسكة نفسي من الضحك لو كان في عالمنا الآن لكان منظرًا غريبًا بالطبع.

- " عايزة تعرفي ايه يا أحلام؟".

ترددت قليلًا قبل أن أتكلم، لم أكن أعرف من أين أبدأ.

- "ايه رأيك تبدئي من اللي أنتي فاكراه".

طالعته في دهشة وقلت لهيام قبل أن أحكي القصة:

- "هيام، ممكن تكملي اللوحة لازم نكون مخلصينها قبل ما نمشي من هنا ".

هزت هيام رأسها موافقة ولكن عم ضياء قال لها قبل أن تتحرك:

- "ارسميها على لوحة سمرا".

- "بس أنا مش معايا غير الأبيض ".

- "في المكتبة هناك هتلاقي لوحة سمرا ورا الكتب في الرف التاني، كنت سايبها لليوم ده".

ثم نظر لي مرة أخرى وقال:

- "احكي يا أحلام".

ثم قصصت عليه بداية من حلمي الأول إلى أن وصلت إليه، كان

يستمع إليّ في هدوء شديد إلى أن انتهيت ثم صمت قليلًا وقال:

- "تسمعي عن الحياة الأخرى، العوالم الموازية، السفر عبر الزمن؟".

- " آه أكيد أسمع بس أظن إن الحاجات دي خرافات".

- "خرافات ازاي وأنتي عايشة فيها؟ ".

رفع ثلاثة أصابع من يده وتابع:

- "أول نظرية إنك دلوقتي في حياتك السابقة ورجعتي ليها عشان تِحلي حاجات كتير، تاني نظرية إنك في عالم موازي لكن أنا مبرجحهاش لأنك في زمن مختلف، تالت نظرية إنك رجعتي عبر الزمن، ازاي الله أعلم لكن في أي حال أنتي هنا لسبب مهم لغيرك وليكي ".

- "ليا أنا ازاي؟ ".

نظر إلى الفراغ نظرة حالمة وقال:

- "أول قصة أنتي فيها بتحلي مشكلة هيام، اللي أنتي هتحليهلها عن طريق خالد مش كدا؟ غير إنك هتحلي لغز رينكلير اللي بقالوا سنين مش محلول".

تغاضيت عن نقطة خالد التي علمها لا أدري كيف وقلت:

- "وايه القصة التانية؟".

- "أنا معرفش بس أتوقع إنها هتكون مرتبطة بفارس، وآخر قصة هتكون بتاعتك أنتي يا أحلام، هتغيري قدرك وقدر حد مظلوم".

- "يعني ايه الكلام ده؟".

- "يعني أنتي لازم تاخدي هيام دلوقتي وتروحي بيها لخالد عشان أمجد هيوصلوا الخطة، أمجد نفسه ساحر ولكنه مش معرّف حد، زي هيام كدا بترسم ومش معرّفة حد".

- "طب أنا أضمن منين إن خالد هيساعدني؟ غير إني خايفة من سحر أمجد ".

نظر لي عم ضياء نظرته الثاقبة وقال:

- "بالنسبة لخالد أكيد هيساعدك، اللي عمله في حياته التانية معاكي هيخليه يحس الذنب بدون سبب، إنما أذية الساحر مش هتصيبكوا إلا إذا كتبها ربنا ليكوا.

وخلي بالك عشان تعرفي تساعدي هيام ممنوع تمامًا أي سحر خالد يستعمله، لو استعمل السحر هتتئذي ".

- "حاضر ".

بادرت بالوقوف ولكن عم ضياء أوقفني قائلًا:

- "كل إنسان فيه الخير والشر يا أحلام، اِوعي شرّك يغلب خيرك ".

لم أفهم ما يقصده ولكني هززت رأسي موافقة وناديت هيام:

- "هيام، احنا لازم نمشي ".

كانت هيام تضع اللمسات الأخيرة على اللوحة وقالت:

- "أنا خلصت بصي كدا ".

نظرتُ إلى اللوحة غير مصدقة ما فعلته هيام إنها هي الفتاة البريئة.

- " متنسيش الألوان المسحورة يا أحلام".

كان عم ضياء قائلًا الجملة الأخيرة، إنها نفس الجملة التي قالتها لي الفتاة المرسومة في الحلم.

نظرت إلى وجهه المبتسم مرة أخيرة وجذبت هيام إلى الخارج.

أمسكت اللوحة منها وقلت لها:

- "أنتي هتحلي مشاكل كتير بموهبتك يا هيام، أنتي موهوبة بس محدش عرف يقدر موهبتك دي ".

فرحت هيام كثيرًا وقالت:

- "شكرًا يا أحلام ".

- "العفو، دلوقتي وديني على بيت خالد".

رأيت النظرة المقبضة في عين هيام وقالت:

- "بيوتهم وحشة أوي، أنا أعيش في الفقر بس ما اسكنش أبدًا في بيت ساحر ".

- "أمجد ساحر".

- "لا أمجد مش ساحر".

- "لا أمجد ساحر وهو ده اللي وصّله للمال، لكنه مش معرف حد".

- "ازاي؟ ده بيصلّي!! ".

- "قناع مستخبي وراه عشان تثقوا فيه".

- "أنا بجد مش مصدقة ".

توقفت عند كلامها عندما وصلنا إلى بيوت سوداء ومقبضة.

- "أنهي واحد في البيوت دي؟".

- "بيت كل ساحر مكتوب عليه اسمه".

كنت أسير وأنا أستمع إليها إذ وجدت حروفًا حمراء مكتوبة على الباب الأسود: خالد داوود.

طرقت على الباب طرقتين وقلبي يدق لم أدرِ لماذا، لكنه لم يعد يدقّ حبًا فيه.

فُتح الباب فتحة صغيرة أطلت منها رأس خالد الذي لم يندهش

كثيرًا لرؤيتي.

- "ايه اللي جابك هنا؟".

لم أندهش من فظاظة أسلوبه؛ لأنه كان هكذا دومًا فما الذي سوف يغيره في حياة أخرى؟

- "عايزاك في خدمة ".

- "أنتي عارفة أوامر الملكة ".

- "مفيش أوامر بتتنفذ على خالد داوود هو مش عايزها".

نظر لي وقد لان قليلًا وضحك من جملتي وقد تملكه الغرور قائلًا:

- "طبعًا".

وفتح لنا الباب كي ندخل وقد تيقنت أنه لن يتغير لا في حياته ولا في حياته السابقة ولا حياته القادمة، نرجسي إلى ما لا نهاية، يا إلهي، أين كان عقلي عندما أحببته؟

دخلت أنا وهيام إلى البيت الذي يشع كـآبة؛ فالسواد يغطي على معالم البيت ورائحته غريبة، غير بيوت العنكبوت التي كانت موجودة في كل ركن. تمتمت في سري:

- "سلامٌ قولًا من رب رحيم".

ونظرت إلى هيام التي كان وجهها أصفر مثل شعرها وثيابها ووجهت حديثي إلى خالد قائلة:

- "أمجد ساحر لكنه مش معرف مخلوق ".

- "أمجد صاحب المال؟".

- "مظبوط، دي معلومة على جنب عشان أنت عارف إن ده ممنوع، لو عرفت الملكة المعلومة دي أكيد هتكون صاحب شأن عندها أكتر ما أنت أساسًا مهم عندها طبعًا".

لاحت ابتسامة الشر في عينيه ورجع إلى غروره المعتاد وقال:

- "و دلوقتي ايه الخدمة اللي مطلوبة مني قصاد المعلومة دي؟".

ابتسمت له وقد هنأت نفسي على تلك الخطة وقلت:

- "أنا عرفت أرسم اللوحة اللي الملكة عايزاها ولكني عايزة أحوّلها أنا بالسحر عشان عايزة آخد جزء من الخلود الأبدي لكن مش كله طبعًا ".

- "أنتي عايزاني أخون الملكة؟ ".

- "لا طبعًا أنا عايزة جزء من الجمال اللي هتاخدوا بس مش كله، ومفيش حد هيساعدني غيرك في الحكاية دي مفيش حد في مهارتك".

لاح على وجهه شبح الطاووس مرة أخرى وقال:

- " ماشي امتى وفين؟".

قلت في ثبات ولكن في داخلي رقصة سعيدة:

- " كمان ساعة في بيتي، بس الأول تروح للملكة تخلص موضوع أمجد، عشان هو ممكن يئذينا إن عرف إن احنا عرّفناك ".

- "اعتبريه خلاص خِلص أنا رايح حالًا".

هممنا بالوقوف جميعًا وهيام كانت موشكة على الكلام ولكني نظرت لها نظرة ذات معنى فصمتت. ذهبنا إلى الخارج وقد حمدت الله على خروجنا من هذا البيت.

- "خالد، متنساش الألوان المسحورة".

نظر لي في دهشة وقال:

- "أنتي ازاي عارفة الألوان المسحورة؟ الملكة معرّفة السحرة بس".

- "متنسهاش".

ثم وليته ظهري ووجدت فارس أمامي يبدو عليه الغضب الشديد.

- "أنتي بتعملي ايه هنا؟".

- "هفهّمك".

- "تفهّميني ايه؟ بقالي أكتر من ساعتين بدور عليكي وفي الآخر

ألاقيكي في مكان السحرة".

كان صوت خيل خالد يجري عاليًا فارتحت لفكرة أنه رحل كي أستطيع الكلام مع فارس وهيام.

- "كدا ضربت عصفورين بحجر، فارس أنا عارفة الملكة عايزانا نرسم اللوحة ليه، تعالوا معايا".

قالت هيام:

- "أيوه بس أنتي قلتيله إنك عايزة جزء من الخلود الأبدي".

- " وأنتي بتصدقي كل حاجة أنا بقولها، الكذب مباح في الحب والحرب يا هيام واحنا عايشين في الإتنين".

- "تقصدي ايه؟ ".

- " اللوحة هتفهموها بعدين، إنما أنتي كدا هتعرفي تتجوزي سامر".

- "ازاي؟".

- "فارس، ايه عقاب اللي غير موهبته في الخفاء في رينكلير؟ ".

رد فارس دون تفكير:

- "النفي ".

- "بالظبط، الملكة هتنفي أمجد لخيانته ومش هيعرف يتحكم في

حياتك تاني ".

سمعنا صوت أجراس قصر الملكة تئن عاليًا معلنة حالة النفي التي ستحدث فعرفتُ أن خالد أدّى مهمته بنجاح.

- "شُفتوا؟".

كانت هيام مسرورة بطريقة لطيفة للغاية.

- "دلوقتي احنا لازم نروح البيت بتاعي خالد هيجي على هناك".

رد فارس غاضبًا:

- "أنتي محتجاه في ايه تاني؟".

ابتسمت ابتسامة واسعة وقلت له وقد أدركت غيرته:

- "فاضل حاجة أخيرة".

انطلقنا في طريقنا إلى المنزل وقد تملكني الفضول لمعرفة إن كانت نظريتي صحيحة أم لا. فتحت باب البيت ودخل معي فارس وهيام وقد وجدت الأنوار مفتوحة، تملكتني الدهشة فأنا أتذكر أنني أغلقتها قبل رحيلي.

- "اتأخرتي عن الساعة يا أحلام ".

كان صوت الملكة المتعجرف يتحدث.

- "كنتي فاكرة إني مش هعرف؟ ".

و من ورائها ظهر خالد مبتسماً في شر. يا إلهي، هل كشفني خالد؟ ذلك المعتوه لن يتغير أبدًا.

- "هاتي اللوحة".

قالتها الملكة بلهجة آمرة:

- "لا".

- "عشت وشفت اليوم اللي حد فيه بيقولي لا، هاتي اللوحة بإرادتك أحسن".

- "عايزاها تطلع من اللوحة عشان تقتليها صحّ؟ مش مكفيكي إنها اتحبست فيها طول السنين دي؟ ".

نظرت لي ميرا نظرة مليئة بالحقد وقالت:

- "كانت واخدة الاهتمام كله واحنا صغيرين، بسبب مرضها كانت مهقاء لونها أبيض وشعرها أبيض ومبتتحمّلش الشمس، وكانت بترسم رسوم تافهة طول الوقت، لحد ما في مرة رسمت مدينة كاملة ناسها ألوان زيها كدا عشان متحسش إنها لوحدها المميزة باللون الأبيض ".

كان فارس وهيام متابعين للموقف في انبهار تام، أما أنا فكنت أدعها تتكلم كي أفكر ماذا أفعل.

– "أبونا كان ساحر وعنده وصفات سحر كتيرة، جربت مرة أجيب إزازة مكتوب عليها تحويل إلى حقيقة كبّيتها على اللوحة بتاعتها ولقيت اللوحة بتتحول لحقيقة فعلًا، جيت أزقّها عشان تدخل اللوحة لكن أنا اللي اتكعبلت ودخلت اللوحة وهي بطريقةٍ ما اتحبست لوحدها في لوحة من لوحاتها".

– "وأنتي فاكرة إنك هتعرفي تقتليها؟ ".

نظرت لي في تحدٍّ وقالت:

– "أنا أعرف أعمل أي حاجة".

– "اثبتي إنك تعرفي تطلعيها من اللوحة".

ضحكت ميرا مقهقهة في سخرية:

– "هات اللوحة يا خالد".

ثم جاء إلى خالد في سرعة وأخذ اللوحة وأعطاها إياها، ثم فردت اللوحة وتوقفت عن الابتسام وقالت:

– "حتى في اللوحة بريئة وجميلة يا لارا".

اسمها لارا إذًا.

– "اِديني الألوان المسحورة ".

نظر لي فارس نظرة أنه بدأ يفهم الخطة فابتسمت له مهنئة له على ذكائه.

اقتربت أنا وفارس وهيام رويدًا من ميرا وخالد دون أن ينتبها وقد اتضحت لهيام الفكرة. سكبت ميرا الألوان على اللوحة وقد تمتم خالد ببعض الكلمات غير المفهومة.

كان المشهد عجيبًا للغاية، الألوان تتحرك وكأنها في بحر واسع، واللوحة مالت إلى الأمام لتخرج منها فتاة شكلها في غاية البراءة والجمال.

كنت في هذه اللحظة أشير إلى فارس وهيام اللذين فهما الإشارة وتحركنا سويا في اتجاه ميرا وخالد.

كانت ميرا مشغولة بحقدها تجاه أختها التي تفكر في كيفية قتلها وكذلك خالد الذي كان مسرورًا بنجاحه وغروره فلم يلحظانا ونحن ندفعهما إلى داخل اللوحة.

دخلت ميرا وخالد إلى اللوحة لتكون سجنهما الأبدي، هي أعماها حقدها وهو أعماه غروره.

نظرت إلى فارس وهيام نظرة امتنان وحب حتى أفاقني من نظرتي كلمة لارا التي سمعتها من قبل في حلمي:

- "أنا مش عارفة أشكرك ازاي يا أحلام".

- "مفيش شكر ولا حاجة، دايمًا السحر بينقلب على الساحر ".

ابتسمت لي لارا ابتسامة واسعة والتفتت إلى هيام قائلة:

- "روحي اندهي لسامر، فرحك هيكون عندي في القصر الأسبوع الجاي، أنا كنت سامعة كل حاجة بتحصل في رينكلير".

ابتسمت هيام ابتسامة ظهرت معها غمازتها وقالت:

- "شكرًا ملكة لارا، شكرًا يا أحلام من غيرك مكناش هنعمل أي حاجة ".

قالت الملكة لارا قبل أن أجاوب:

- "أما أحلام وفارس زفافكم بكرة في القصر".

اتسعت ابتسامة فارس الوسيمة وقال موجهًا لي الكلام:

- "ايه رأيك؟ ".

نظرت له في خجل وقلت:

- "موافقة ".

قالت الملكة لارا:

- "عمري ما هنسى اللي أنتي عملتيه معايا يا أحلام ".

ثم انطلقت الملكة لارا في طريقها إلى قصرها الذي تحول إلى اللون الأبيض وسرنا أنا وفارس بعد أن ذهبت هيام إلى سامر تخبره بالأخبار السعيدة وقلت له في شيء من الخوف:

- "أنت عارف إني مش من الزمن ده؟ ".

- "وايه يعني أنا بحبك في أي زمان ".

- "ايه اللي مخليك متأكد كده؟ ".

- "هتشوفي بنفسك، أي حياة وأي زمان هتلاقيني بحبك فيهم".

احمرت وجنتاي خجلا من كلامه وقلت:

- "هنشوف".

ثم توقفنا عند منزلي وقال لي:

- "ارتاحي بقى عشان قدامنا يوم طويل بكرة، تصبحي على خير يا عروسة".

ضحكت وأنا أقول له:

- "وأنت من أهله".

دخلت إلى المنزل وارتميت على الفراش الأبيض ودون أن أدري استغرقت في النوم على الفور.

فتحت عينيّ لأجد نفسي في نفس الغابة التي حلمتُ بها من قبل، التي كانت بها لارا ملكة رينكلير المسجونة، وكان مشهد الأشجار مطابقًا تمامًا عدا أنه كان هناك نسخة مطابقة مني واقفة بالقرب من مرآة طويلة محاطة بنقوش ذهبية. تطلعت إلى شكلي الجديد في انبهار، كنت جميلة جدًا، شعري أحمر غجري وعيوني خضراء اللون، لكن لم أبدُ بهذا الشر، أشعر بالشر يخرج من عيني.

راقبت نفسي التي لم تلحظ وجودي البتة، وقد لاحظت خروج شاب وسيم من بين الأشجار لأقابله أنا بابتسامة عذبة نقية ولكني لم ألحظ الخنجر الذي يحمله بيده.

أرى نفسي مبتسمة للشاب الوسيم وإذا هو يمد يده ليطعنني بخنجره.

في مشهد عجيب رأيت نفسي مطعونة ولا أستطيع الحركة وإذا بي أذرف دموعًا من الألم، لم أدرِ أهو ألمي من الطعنة أم ألمي ممن طعنني.

و في حركة سريعة سار الشاب الخائن مبتعدًا منتصرًا بفعلته وأنا في وسط بكائي أجذب قلادة من رقبتي وأرسم بها على المرآة شكل باب وإذا بالباب المرسوم في المرآة يُفتح وأنا أدخله.

جريت مسرعة إلى المرآة لأنظر ماذا حدث لكن بالطبع في هذه

اللحظة تحديدًا وقعت من على سريري لأصطدم بالأرض. فتحت عينيّ هذه المرة على الواقع الجديد الغريب.

أين ذهب اللون الأبيض وأين المنزل الأبيض؟ لِمَ كل شيء أصبح داكن اللون؟!

الغرفة التي أنا بها مختلفة تمامًا عن غرفتي السابقة، لم تعد بيضاء اللون ولم تعد موحدة اللون، كان لونها مزيجًا من الأسود والأحمر والرمادي.

أشعة الشمس تتخلل من النافذة إذًا أنا لم أعد في رينكلير ولكن أين أنا؟!

جريت إلى النافذة لأنظر إلى البيوت هل ما زالت ملونة أم لا، فوجدت البيوت لم تعد كما كانت في رينكلير، البيوت أصبحت كلها كئيبة تشبه بعضها ولم تعد ملونة.

أغلقت النافذة وذهبت إلى المرآة لأتفقد شكلي هذه المرة. لم أشعر وكأنني أطول من المعتاد!!

تفقدت شكلي في المرآة وإذا بي أفتح فمي من الدهشة.

عيناي خضراوان في لون أوراق النعناع وشعري أحمر كشعر الغجر، أنفي مستقيم وجميل للغاية وبشرتي تبدلت من اللون الأبيض إلى اللون البرونزي الجذاب.

لكن لم أشعر بتلك القوة ، لم أشعر أنني معجبة جدًا بشكلي وملامح وجهي، لم تطل تلك النظرة المغرورة من عيني، هل هذا يهم؟ لا بالطبع.

سمعت صوت طرقات على باب غرفتي وهمست لنفسي: ها قد بدأ الإزعاج.

في صوت مليء بالملل قلت:

- "ادخل ".

فُتح الباب ودخلت فتاة لا أعرفها لتتكلم بصوت منخفض:

- "فارس بيه مستني حضرتك برا".

- "قوليله جاية، بقولك يااا. تاريخ النهارده ايه؟".

نظرت لي الفتاة المسكينة وقالت:

- "١١ نوفمبر ".

- "ياه على المعلومة احنا سنة كام؟".

تمتمت الفتاة في شيء من الخوف:

- "١٩٢٢".

- "طيب يلا اطلعي".

فكرت في هذا التاريخ، ألم يكن هو نفس التاريخ في رينكلير؟ هل

هذا هو العالم الموازي الذي تحدث عنه عم ضياء؟ تُرى في أي مكان لعين أنا الآن؟ ولماذا جئت إلى هنا؟

ذهبت إلى خزانة الملابس الرمادية وفتحتها لأجد ملابس يبدو عليها الفخامة والرقي، بالطبع هذا ما يليق بأحلام في أي مكان وزمان.

اخترت فستانًا أخضر اللون فخمًا يتناسب مع لون عينيّ الخضراوين.

ارتديت ثيابي وذهبت إلى المرآة لأعدل شعري الأحمر.

فتحت الباب ووجدت أمامي مباشرة سلالم طويلة.

تحركت قدماي تجاه السلالم يبدو أنها كانت تعلم إلى أين تذهب.

نزلت السلالم لأجد فارسي ينتظر كما توقعت، تطلعت إلى ملامحه جيدًا لكي أرى ما الذي اختلف فيها وقد كنت على حق.

وجهه مثل وجهي في لون البرونز وعيناه في لون الأخضر الداكن، وشعره عاد إلى اللون الكستنائي مرة أخرى، إنه وسيم في كل الأماكن.

- "أحلام مش كفاية بقى الهزار اللي بتهزريه ده؟ ".

قلت في براءة تامة:

- "هزار ايه؟".

- "مش عشان عندك موهبة التحكم في الأفكار تعملي كدا، ليه كل

شوية تئذي حد؟ -".

صمت لبرهة أفكر في ما قاله، أنا لدي موهبة التحكم في الأفكار ولكن كيف؟

- "فارس، أنا قايمة ناسية حاجات كتير أوي ممكن توضحلي ".

قلت جملتي الأخيرة بشيء من الدلال الذي أعلم أنه لن يصمد أمامه.

- "يعني أنتي فجأة كدا صحيتي نسيتي كل حاجة".

- "منستش إني بحبك".

تطلع لي فارس بشيء من الأمل ولكنه قال:

- "أهو ده اللي باخده منك مجرد كلام".

نظرت له في مزيد من الدلال وقلت:

- "مش كلام دي الحقيقة الوحيدة في حياتي ".

تطلعت إلى عينيه الخضراوين اللتين أصبحتا شديدتي الصفاء في ثقة وأنا أتكلم.

- "ماشي يا أحلام، لولا إني بعرف أقرأ العقول مكنتش صدقتك".

- "شفت بقى؟- " .

- "شفت".

- "طب قولي يلا، أنا بتحكم في الأفكار ازاي؟ وأنا بأذي حد مين وازاي؟".

نظر لي فارس في عدم ثقة وقال:

- "مش عارف ليه حاسس إني سمعت حوار إنك ناسية كل حاجة ده قبل كدا بس مش عارف أفتكر امتي وفين".

- "في عالم تاني كنا فيه أكتر من حبيبين ".

- "يعني ايه الكلام ده؟".

قلت في سرعة:

- "في حلم من أحلامك أكيد".

- "ماشي، شاتلانتا بلد المواهب، كل الناس هنا ليها موهبة معينة، أنتي بتعرفي تتحكمي في أفكار اللي قدامك، حاجة كدا زي السحر.".

- "شاتلانتا؟!".

- "أيوه، الناس بتجيلنا من بقية البلاد عشان نحققلهم حاجات عمرهم ما هيعرفوا يعملوها لوحدهم بالموهبة اللي عندنا ".

فكرت في كلامه وقد خطرت لي أفكار عديدة يمكن أن أنفذها

بموهبة كهذه.

- "وأنت بتعرف تقرأ العقول اللي أنا بتحكم فيها؟ ".

- "طول عمرك شاطرة في الكلام يا أحلام مشفتش ولا هشوف حد عنده براعة تحويل الكلام زيك".

ابتسمت في مزيد من الغرور والثقة وقلت:

- " عارفة ".

ابتسم فارس في نوع من الحزن وقال:

- "نفسي ترجعي تاني أحلام اللي حبيتها".

- "على أساس إني دلوقتي أحلام تانية".

- "معرفش ايه اللي حصلك، مكنتيش كدا، كنتي زي الملاك".

غضبت كثيرًا مما قال فاندفعت قائلة:

- "ودلوقتي أنا طبعًا شيطان، كل ده عشان مش عايزة أبقى زي ما أنت عايزني طول الوقت، أنا مش أحلام اللي أنت عارفها ولا هكونها تاني ".

نظر لي فارس نظرة مليئة بالحزن وقال:

- "أنا عارف إنك أنتي مش قاصدة اللي بتقوليه ده، أحلام أنا مش

عايز منك حاجة غير إنك تبطلي تئذي اللي حواليكي وتئذي نفسك معاهم".

لم أفهم ما يتحدث عنه ولكني أخذت قراري:

- "فارس احنا مينفعش نكمل مع بعض، احنا مش شبه بعض ولا هنكون شبه بعض، أنت بطلت تحبني".

- " أنا عمري ما هبطل أحبك في أي وقت وأي شخصية أنتي هتكونيها، بس الظاهر كدا أن أنتي اللي عندك رأي تاني ".

كان فارس يتكلم بصوت يملؤه المرارة، ثم نظر لي مطولًا في عيني وقال:

- " مع السلامة ".

لم أرد عليه، لم أعلم ماذا أقول، لا أدري لماذا يؤلمني قلبي هكذا، لكني لا أبالي حقًا فليفعل ما يشاء، هو يريدني أن أكون أحلام البلهاء، لا شكرًا أنا أفضل نفسي هكذا.

- "ايه اللي حصل يا أحلام؟".

التفتُّ عنما سمعت صوت هيام العذب، كانت هيام بنفس الهيئة التي رأيتها أول مرة في الباص؛ عيون زرقاء حالمة، شعر أسود، بشرة بيضاء، لكن لم أشعر أنها أقل جمالًا؛ لأني أقيس جمال الجميع مقارنة بي،

لا أدري لِمَ أشعر هكذا.

- "زهقت منه".

اتسعت عينا هيام في تعجب وقالت:

- "زهقتي منه ازاي؟ مش ده فارس اللي أنتي بتحبيه من صغرك؟ ازاي زهقتي منه؟ أحلام أنتي مش عارفة قد ايه هو بيحبك؟ أنتي ناسية الإصابة اللي هو اتصابها قبل كدا عشانك؟ ".

- "إصابة ايه؟".

- "أنتي ناسية فعلاً".

- "فكريني ".

تطلعت إليّ هيام بعينيها الزرقاوين وقالت:

- "من ٥ سنين لما كان عندك ١٦ سنة نسيتي باسم اللي كان بيحب صاحبتك سلمى، لما حاولتي تفرقيهم بحجة إنك كنتي شايفة إن سلمى مش مناسبة لباسم؟ ".

- "سلمى هنا؟".

- "في ايه يا أحلام؟ أنتي فقدتي الذاكرة ولا ايه؟ ".

- "وأنتي ايه دخّلك؟ فاقدة الذاكرة ولا لأ، قولي وخلاص ايه اللي

حصل".

توقفت هيام عن الكلام فجأة ثم نظرت لي نظرة مليئة باللوم ثم اختفت فجأة.

نعم اختفت هكذا، في غمضة عين اختفت، هل هذه هي موهبتها الاختفاء فجأة..

لو كان أحدًا يستحق هذه الموهبة لكان خالد خطيبي السابق. هل تضايقت هيام من كلامي؟ لا أكترث لا يهمني أمرها سأكتشف كل شيء بنفسي.

ذهبت إلى باب هذا المكان وفتحته مستعدة لذهابي إلى الخارج، كان الجو مشمسًا ولكن ليس حارًا، مشيت في شوارع شاتلانتا وكانت بديعة بحق سمعت أحدًا بصوت مألوف ينادي ويقول:

- "الموهبة هبة من الله، هو المعطي لعباده أسرارًا لا يعلمها إلا هو، فيا عبد الله لا تستخدم موهبتك إلا في طاعة الله".

عم ضياء! عم ضياء، إنه هو، في ثياب بسيطة ورُقُيّ ملامحه المعهود، لا يبدو أنه لاحظني.

- "عم ضياء".

لم يُجِب النداء، صمت عندما سمع صوتي.

- "عم ضياء".

- "خير يا أحلام".

- "عامل ايه؟ ".

- " أحمد الله على نعمه ".

- "عم ضياء، أنا بعمل ايه هنا؟ وليه بحس بكل الكراهية والحقد ده؟".

تطلع عم ضياء إلى السماء دون أن ينظر إلى عيني وقال:

- "كل إنسان فيه الخير والشر يا أحلام، اِوعي شرك يغلب خيرك".

كانت نفس الجملة التي قالها لي من قبل في رينكلير ولم أفهمها أيضًا.

- "تقصد ايه يا عم ضياء؟ أنا مش فاهمة".

- "يا بنتي لا تستخدمي موهبتك في الشر، الله الذي أعطاكي الموهبة دي قادر يسلطها ضدك".

نظرت له في شيء من السخرية وقلت:

- "هيسلطها ضدي ازاي؟ هيخلي الناس تتحكم في أفكاري ".

- "لا يا بنتي هيسلطها ضدك بصورة أنتي متتخيليهاش، كل عبد أذتيه حقه عند ربه منساهوش".

- "طيب شكرًا على النصيحة الغير مفيدة بالمرة دي".

ثم سرت مبتعدة وأنا لا أدري عم يتحدث وسمعته يقول:

- " ارجعي لفطرتك يا أحلام، اوعي شرك يغلب خيرك".

لم أُعِرِ اهتمامًا لما قال، حقًا لا أكترث لمثل هذه الخرافات، ما يَعنيني الآن أننيَ أملك قدرة رائعة أستطيع التحكم في من أريد، و سلمى صديقة الدراسة هنا، إن كانت لا تعلم ماذا فعلت لي في حياتي فأنا أعلم، سوف نرى هذا الباسم حبيبها ماذا سأفعل كي أبعده عنها، أنا أعرفها حق المعرفة الحب لديها عزيز كما كانت هي عزيزة عليّ ولكنها لم تقدّر هذا. تذكرت في ألم آخر لقاء بيني وبينها عندما اكتشفت حقيقتها المزيفة، كانت تتحدث مع صديقتي وصديقتها رقية قائلة:

- "أنا بجد زهقت من أحلام دي، شايفة نفسها ملكة الكون بجد زهقت".

رقية: "هي عملتلك ايه أنا مش فاهمة؟".

سلمي: "مشكلتها إنها مبتعملش حاجة، كل ما آجي أقولها تعالي ننزل تقولي مش حابة المكان ده مش مرتاحة للخروجة دي، لا مش عايزة أقعد مع الناس دول، بجد تعبت منها ومن طبيعتها الخنيئة دي".

رقية: "طب لسه بتتعاملي معاها ليه طالما مخنوقة منها؟".

زفرت سلمى وقالت: "عشان بردّلها الجميل، أول ما جيت المدرسة مكنش ليا صحاب وكان الكل له صحابه، غير إنها بنت الدكتور سليمان سليم، معرفتها مفيدة جدًا مصلحة يعني".

ثم ضحكت الاثنتان ضحكاتٍ آلمت قلبي كثيرًا، كنت في دورة المياه أستمع إلى كلامهما ولم يعلما بالطبع أنني أستمع إلى كل كلمة. فتحت باب دورة المياة لأعلمها أنني كنت هنا أستمع إلى كل كلمة، عندما رأتني شحب وجهها واصفر لونه.

- "أحلام أنا مقصدش اللي أنتي سمعتيه ده".

- "ششششش".

ثم خلعت القلادة التي أهدتني إياها مرة؛ التي كانت على شكل قلب ذهبي ثم رميتها في قلب القمامة في مكانها الصحيح أمام عينيها. تذكرت هذا اليوم المؤلم في وسط الشارع الذي أسير فيه، وتذكرت بكائي يومها مرارا في وسط الطريق المليء بالناس وكسرة قلبي يومها، من تظنه صديقك يكون عدوك. كنت أسير إلى أن اصطدمت بأحد دون أن أشعر، نظرت أمامي لأرى من اصطدمت به هكذا.

- "أحلام!".

الشاب الوسيم الذي رأيته من قبل في حلمي صاحب الطعنة!!!

- "أنت مين؟".

نظر لي في انبهار تام وقال:

- "معقولة نسيتيني؟!".

قلت في سرعة وذكاء وابتسامة مزيفة:

- "ملامحك اتغيرت بقيت أحلى".

تكلم كأنه كان مسحورًا:

- "وأنتي بقيتي أحلى من كل الحلوين".

تكلم صوت أنثوي أعرفه جيدًا:

- "باسم احنا كدا هنتأخر".

نظرت بألم إلى صاحبة الصوت من كانت رفيقتي وصديقتي سلمى، لم يتغير شكلها في هذه المدينة، كانت كما هي طويلة وجذابة، أسنانها بيضاء ناصعة، الشيء الوحيد الجديد فيها أنها ثقبت أنفها واضعة في الثقب حلقا أبيض رقيقا للغاية.

نظرت لي بعينيها ذواتا اللون البني الداكن وقالت:

- "ازيك يا أحلام، مشفتكيش بقالي كتير أوي ".

لم أعلم بماذا أجيبها، ولكني علمت أن فرصتي قد جاءت على طبق

من ذهب. تطلعت إليها وقد أخذت قراري بتدمير حياتها، شيء صغير فقط مقابل ما فعلته لي في حياتي الأخرى. ابتسمت ابتسامة صفراء ونظرت إليها وإلى باسم نظرة ثاقبة ويبدو أنني كنت أعرف كيف أستخدم تلك الموهبة، يجب أن أنظر إلى أعين الشخص في تركيز تام.

قلت في ثبات ودلال:

- "وايه بقى اللي حصل خلاني مشفكيش بقالي زمان؟".

كانت هي وباسم ينظران لي في عدم فهم، وقالت سلمى في نوع من التوتر والسرعة:

- "أنتي مش فاكرة خناقة باسم وفارس بسببك؟ ".

إذًا هذا ما حدث وأظن أن إصابة فارس كانت بسبب هذه المشاجرة.

- "كان سوء فهم، أنتي عارفة إنك صاحبتي القريبة ومستحيل أبقي عايزة ليكي أي أذية، بعدين عندك باسم أهو اسأليه أنا عملت أي حاجة تئذي سلمى يا باسم؟".

ثم نظرت له نظرة ثاقبة تطلع فيها إليّ في شيء من السحر وقال:

- "لا اللي حصل سوء فهم يا سلمى ".

تكلمت سلمى وكـأنها لا تصدق ما قاله باسم وقالت:

- "و لما هو سوء فهم محضرتيش زفافي أنا وباسم ليه؟".

اللعنة!! هل تزوجا؟ يا إلهي كيف سأفرقهما إذن؟

- "أنتي عارفة المشاكل اللي كنت فيها غير إنك معزمتنيش صح ولا ايه؟".

- "عزمتك يا أحلام و أنتي كنتي رافضة تقابليني، آخر ما زهقت بعتلك الدعوة مع هيام بنت عمك، وبرضو مجتيش".

قلت كاذبة:

- "هيام موصلتليش حاجة، شفتي بقى مش مشكلتي".

اتسعت عيناها في انبهار وقالت:

- "معقولة هيام موصلتلكيش الدعوة؟".

- "أنتي عارفة إنها كانت طول الوقت بتغير من صداقتنا".

ظهرت علامة التعجب على وجه سلمى وقالت:

- "عامةً أنا هستناكي في البيت الساعة ٥ متتأخريش".

قلت وأنا ابتسم ابتسامة انتصار:

- "أكيد هاجي ".

- "مستنياكي".

ثم ودعتها وظللت أنظر إلى باسم في شيء من التركيز وعندما هممت

بالمغادرة جذبني أحدٌ من يدي في شدة قائلًا:

- "أحلام أنتي كدا بتلعبي بالنار ".

كان فارس الذي يبدو عليه أنه يستشيط غضبًا، نظرت في عينيه اللتين تطلقان شررًا وقلت:

- "أنت بتراقبني؟ ".

- "أحلام أنتي متعرفيش باسم بيفكر في ايه، أفكاره كلها أذي متنسيش اللي حصل آخر مرة".

- "وايه بقى اللي حصل آخر مرة؟".

كان يعض على شفتيه في غيظ وقال:

- "أنتي لسه مش فاكرة حاجة برضو؟".

- "و الله ما فاكرة".

أغمض فارس عينيه قليلًا كمن يحاول تهدئة نفسه وقال:.

- " اتخانقت مع باسم بسببك".

- "ليه؟".

- "ليه!! عشان أنتي مسمعتيش كلامي، كنت كل يوم بحذرك منه وبحذرك من اللي أنتي بتعمليه، كان كل همك إنك تفرقي بينه وبين

سلمى اللي عمرها ما عملتلك حاجة غير إنها كانت وفية ومخلصة ليكي وأنتي الظاهر حبيتي تكافئيها على وفائها وإخلاصها ده ".

كان يتنفس في سرعة وغضب يبدو أن هذه الحكاية تشيطه غضبًا.

- "وبعدين قمت أنت متخانق معاه، ليه أنا عايزة أفهم؟".

- "ليه؟ أنتي بجد بتسألي ليه؟ لما ألاقي خطيبتي بتستخدم موهبتها في تفرقة بين صاحبتها وخطيبها، وألاقي خطيبها باسم ده اللي لحد دلوقتي محدش عارف ايه موهبته في المدينة كلها واللي متأكد إنها موهبة وحشة جدًا بيتعرض لخطيبتي ونظراته وأفكاره كلها شر ليها، عايزاني أعمل ايه أتفرج عليه؟".

كان كلامه صادمًا ولكن لسبب لم أفهمه لم أصدقة بالرغم من معرفتي أنه لا يكذب.

ثم أشار إلى ذراعيه وقال:

- "والإصابة اللي هو اتسببلي فيها لسه سايبة أثر في دراعي ".

نظرت إلى حيث أشار وكانت علامة كبيرة في ذراعة بها خياطة طبية تاركة أثر.

- "صدقني اللي حصل سوء فهم هو متعرضليش أنت اللي فهمت غلط".

- "فهمت غلط ازاي يا أحلام؟ كان مقربلك وأنتي مكنتيش واخدة بالك، لولا إني ادّخّلت مكنتش أعرف ايه اللي كان ممكن يحصل، أنتي ازاي صدقتيه ومكذباني؟".

كان يتكلم في كثير من الحزن والغضب والعتاب.

- "مش يمكن أنت اللي استخدمت موهبتك دي غلط وأنه مكنش في نيته أي سوء ليا؟".

- "أحلام أنا مش عارف أقولك ايه، الكارثة إنك بتدافعي عنه ومش مصدقاني، على العموم براحتك يا أحلام بس أنا مش هبقي موجود في كل مرة هيحاول يئذيكي فيها".

نظرتُ إليه بمزيج من الغرور واللا مبالاة وقلت:

- " وأنا مش محتجالك يا فارس ".

ثم ابتعدت عنه وأنا أعلم جيدًا أنني كسرت فؤاده.

هل يمكن أن نحب أحدًا بشدة وبالرغم من ذلك نحطم قلبه؟

هل نبتعد ونحن نريد الابتعاد حقا أم القدر هو من يفرقنا؟

لا أظن، نحن من نختار كل شيء، وكل إنسان يجب عليه أن يتحمل مسؤولية اختياره.

تذكرت جملته التي قالها لي:

- "أنتي بتئذي نفسك واللي حواليكي يا أحلام".

أنا أعلم جيدًا أنه لا يكذب ولكن لا أعلم لماذا لا أصدقه، منذ متى يا أحلام كنتي لا تعلمين شيئًا، متى أصبحت مذبذبة هكذا؟ كل ما أعلمه أنني يجب أن أفرق بينهما، لن أجعلكِ تهنئين يا سلمى، لقد حطمتِ فؤادي قبلًا وها أنا أرد لكي الجميل، لا أظن أن ما أفعله خاطئًا فلقد آذيتني قبلًا، لا أهتم إن كانت في حياتها هذه أو غيرها.

رجعت إلى بيتي الذي تذكرته بسهولة لا أدري مصدرها، ذهبت إلى غرفتي لأجد هيام جالسة على كرسي في نهاية الغرفة، بادرت إليها بالكلام فأنا أعلم جيدًا ما تريد قوله:

- "طبعًا فارس قالك أحلام الشريرة هتعمل ايه".

- "أنا مشفتش فارس يا أحلام ومش محتاجة أعرف منه أنتي ناوية على ايه".

- "ايه بقيتي بتعرفي تقري الأفكار زيه؟ صحيح موهبتك العظيمة دي خطيرة، بتختفي وتظهري زي ما أنتي حابة، بتتبخري".

ضيقت هيام عينيها وقالت:

- "مش مهم هي خطيرة ولا لأ، كل المواهب خطيرة لو الإنسان استخدمها غلط".

رفعت عينيّ في حركة استهزاء لكلامها وقلت:

- "والمفروض بقى الإنسان يستخدمها ازاي؟ في صناعة الأحلام الوردية".

قامت هيام من مكانها وقالت في حدة واضحة:

- "يستخدمها في الخير، في صناعة الخير يا أحلام، في رد المظالم، في الصلح بين الناس، في تعمير الأرض، في رضا ربنا".

لا أعلم ماذا أقول ولكنها أشعرتني أني بغاية الدناءة.

- "أحلام أنا مش فاهمة سبب كرهك لسلمى، لكنها عمرها ما آذتك في حياتها عشان تعملي فيها كدا".

- "و أنتي ايه اللي عرّفك إنها مآذتنيش؟ ".

- "حتى لو آذتك، سامحي وبلاش الانتقام يعميكي، في الآخر مش هتئذي إلا نفسك ".

- "بقولك ايه يا هيام استعملي موهبتك الحلوة دي وامشي من هنا".

ثم وليتها ظهري مبتعدة فقالت في صوت مليء بالمرارة:

- "خلي بالك يا أحلام؛ لأني مش هكون موجودة دايماً، آخر مرة أنا اللي نبهت فارس بالشر اللي كان ناوي عليه باسم".

- " يا ريت متبقيش موجودة دايمًا ".

ثم سمعت صوت الصمت، أنا حقًا كنت غاضبة لَم أَعِ ما أقول، التفت ورائي لأجدها قد رحلت. لم أبالِ، لا أشعر بشيء أريد فقط أن آخذ حقي، لِمَ لا يفهمون؟

فتحت خزانة الملابس واخترت أجمل فساتيني، كان فستانًا لونه أسود مطرزًا بخطوط حمراء، وذهبت إلى علبة المجوهرات الموضوعة فوق الطاولة لأفتحها.

وجدت بعض الذهب والحلي الراقي، ثم في قاع العلبة وجدت القلادة التي أهدتني إياها سلمى من قبل.

جذبتها من العلبة وقد اشتقت لها، كانت قلادة ذهبية على شكل قلب، كانت سلمى تعلم جيدًا أني أحب الأشياء البسيطة وقد كانت القلادة بغاية البساطة والجمال، شعرت ببعض الدموع تتكون في عيني، لم أدرِ أن رؤيتي للقلادة مرة أخرى ستؤثر بي هكذا.

تذكرت يوم أن أهدتني تلك القلادة، عندما كنا عائدين من أحد دروس المدرسة.

سلمى: "أنا عارفة إنك بتحبي الحاجات البسيطة لما شفت السلسلة دي قلت أكيد

هتعجبك ".

أحلام: "الله دي حلوة أوي، شكرًا بجد، أنتي مش عارفة أنتي قد ايه فرحتيني أنتي عارفة ماما مدايقاني ازاي من امبارح؟ هديتك دي نستني كل حاجة وحشة".

سلمى: " أي خدمة، اوعي تقلعيها هي مضادة للمَيّة".

أحلام: " عمري ما أشيلها أبدًا".

ثم رجعت إلى الواقع المؤلم مرة أخرى، ومسحت دموعي التي انهمرت على خدي في قوة وارتديت القلادة، لا أعلم هل أهدتني إياها أيضًا هنا أم لا؟ ولكنني ارتديتها على أي حال.

جففت وجهي جيدًا ثم نظرت إلى المرآة وقد أنهيت الصراع القائم في عقلي. أخذت قليلًا من مساحيق التجميل ووضعتها على وجهي لكي أظهر عينيَّ الخضراوين ولكي لا يبدو عليّ أنني كنت أبكي، ثم فتحت أحد الأدراج باحثة عن فرشاة للشعر ولكن وجدت صورة تبدو أنها قديمة؛ كانت صورة لي أنا وفارس ونحن نبدوان في العاشرة من العمر، كنا نضحك في سعادة حقيقية ظاهرة من الصورة وهو ممسك بسيف لعبة يرفعه في انتصار من خلفي كأنه كان يحميني من شيء ما وأنا أضحك في أمان كأنني أعلم أنه يحميني.

وضعت الصورة في مكانها وفتحت درجًا آخر لأجد صورة أخرى

لي مع فارس ونحن نبدوان في السابعة عشرة؛ كنت واقفة بجانبه ممسكة بذراعه القويّ في ابتسامة مشرقة وهو رافع يده في علامة النصر وكأن أعظم انتصاراته أن أكون بجانبه أحتمي فيه. كانت الصورتان باللون الأبيض والأسود ولكن تعابيرنا في الصورتين واضحة للغاية. لم أجد الفرشاة فأغلقت الأدراج وعدّلت شعري بيدي ثم اتجهت إلى باب الغرفة وفتحته كي أذهب إلى سلمى وأنا متخذة قراري. في طريقي إلى الخارج قابلت الفتاة التي يبدو أنها تعمل في المنزل وسألتها:

- "هو بيت سلمى فين؟".

نظرت لي في توتر وقالت:

- "بعد سوق شاتلانتا شارع المسجد، البيت البني الوحيد في الشارع".

لم أعلق على شيء مما قالته، اندفعت إلى باب المنزل فتحته وأغلقته في عنف لا أعلم سببه، ها أنا أفعل ما أريد، لَم أشعر بهذا الذنب في داخلي؟ مشيت حتى وصلت إلى سوق شاتلانتا ثم رأيت الشارع الذي به المسجد.

سرت مطولًا إلى أن وصلت إلى البيت البني الوحيد طرقت الباب مرتين منتظرة أن تفتح لي سلمى الباب. فتحت سلمى الباب وعلى وجهها ضحكة مشرقة، ثم باسم من خلفها يبتسم في بلاهة، كان شكله

وسيما شعره أسود طويل وعيناه في لون العسل، طويل إلى حد معقول، لكن لا أدري لِمَ بدأت أقارنه بفارس؟ فارس عيناه فيهما دفء وحنان لا يوجد عند باسَم، أشعر معه بالأمان التام وكأن الكون كله لا يقدر على إيذائي في وجود فارس، أظن أن الفتاة لا تريد شيئًا من الدنيا أكثر من هذا، شخص تحبه ويحبها وتشعر معه بالأمان المطلق.

- "سرحتي في ايه يا أحلام؟".

كانت سلمى التي أفاقتني من شرودي بكلماتها.

- "أنا وفارس فسخنا الخطوبة ".

اتسعت عينا سلمى في دهشة وباسم لم يبدُ عليه أي تعبير.

- "ازاي ده حصل؟!".

- "مش عارفة الظاهر إنه احنا معدناش مناسبين لبعض، بقى بيغير أوي من غير سبب وأنا اتخنقت ".

كانت عينا باسم لا تفارقني لا أدري، لِمَ لا يبدو عليه أي تعبير هكذا؟ بينما سلمى تبدو مدهوشة للغاية.

- " بس يا أحلام فارس بيحبك من صغركم، ده ابن عمك هان عليكي تسبيه بعد كل ده؟".

فارس ابن عمي إذًا وهيام أيضًا، هل هما إخوة؟ تكلمت في لا مبالاة

وقلت:

- "أهو ده اللي حصل".

نظرت سلمى إلى زوجها باسم نظرة ذات معني وقالت:

- "طيب تعالي كلي دلوقتي وخلينا نشوف موضوع فارس ده يتحل ازاي، باسم، عايزاك ثانية".

ثم ذهبا إلى ما يبدو أنها غرفتهما وأغلقا الباب من خلفهما، لم أستطع أن أمنع نفسي كان الفضول يقتلني، ذهبت وراءهما أستمع من وراء الباب، لم تكن تلك عادتي أن أسترق السمع ولكنه الفضول والشر معًا، ثم سمعت صوتهما بوضوح شديد:

- "باسم، أنت لازم تعمل حاجة، لازم تكلم فارس، أنا مش متخيلة أحلام ازاي سابت فارس دي بتحبه جدًا بس أنا متأكدة إن الشيطان دخل ما بينهم".

رد باسم في صوت يخلو من التعبير وقال:

- " أنا ايه دخلي في الموضوع ده؟ وبعدين أنتي ناسية إني أنا وفارس اتخانقنا بسبب أحلام؟ وبعدين مش دي صاحبتك اللي كانت عايزة تفرقنا وشايفاني مش مناسب ليكي ؟".

ردت سلمى في صوت مندفع:

- "اللي حصل حصل قبل كدا وخلاص، أنا مسمحاها على أي حاجة، دلوقتي أنا عايزاها هي وفارس يتصالحوا، ده كان المفروض على فرحهم أقل من شهر".

رد باسم في صوت يخلو من الصدق وقال:

- "طيب هشوف هعرف أعمل ايه ".

لم أستطع أن أسمع المزيد، تراجعت من خلف الباب وأنا مندهشة، هل هذه سلمى حقًا؟ يا إلهي، إنها تريد لي الخير وأنا أريد بها شرًا، لكني لا أستطيع أن أنسى كسرة فؤادي من قبل، لِمَ كل هذا الصراع في داخلي؟

ثم سمعت صوت الباب يفتح و سلمى تطل مبتسمة في أمل:

- " معلش اتأخرت عليكي أنتي لسه بتحبي الأكل فيه شطة ولأ؟".

ثم توقفت عن الكلام عندما وقعت عيناها على قلادتي التي أرتديها.

اقتربت ببطء ناظرة إلى قلادتي كأنها لا تصدق عينها.

رفعت عيناها إلى عيني في بطء شديد وقالت:

- " أنتي جبتيها منين؟".

قلت لها دون تركيز:

- "أنتي اللي ادتهالي".

قالت وعيناها بدأتا تمتلئان بالدموع:

- " أنا مدتهالكيش، ازاي هديهالك وباسم اللي جيبهالي؟ ".

ثم نظرت إلى باسم في نظرات يملؤها الحسرة وقالت:

- "مش سألتك عن السلسلة وقلتلي إنك متعرفش هي فين، ازاي وصلت عند أحلام؟".

قال باسم في ثبات وهدوء شديد:

- " أنا اللي إدتها لأحلام".

اتسعت عينا سلمى في دهشة وكأنها لا تصدق حرفًا مما يقول.

يا إلهي، هو من أعطاني القلادة وليست هي.

قالت سلمى ودموعها أخذت تنهمر بدون توقف:

- "ليه؟".

قال باسم:

- "ليه ايه؟".

- "ليه الخداع ده؟ ايه السبب؟ فهمني ".

قال باسم في هدوء شديد:

- " أنا بحب أحلام من البداية ومش عايز أبقى معاكي أساسًا يا

سلمى، محاولات تقربي منك كانت بسبب إنك صاحبة أحلام".

قالت سلمى في شبه انهيار:

- "طب واتجوزتني ليه؟ عشان تقرب من أحلام برضو؟ ".

قال باسم في برود لا أدري كيف له به في هذا الموقف العصيب:

- "عشان صعبتي عليا أسيبك بعد ما اتعلقتي بيا، دلوقتي أنتي خلاص عرفتي الحقيقة كلها، مش عايز أظلمك معايا أكتر من كدا".

جففت سلمى دموعها بيدها وكأنها علمت أنه لا يوجد مفر من نهاية علاقتهما وقالت:

- "ودلوقتي ايه رأيك يا أحلام؟ فرحانة كدا؟ عملتي اللي أخيرًا كنتي عايزة تعمليه؟ لبستي السلسلة و أنتي عارفة كويس إني هاخد بالي وهعرف إنه ادهالك، مبسوطة؟".

لم أدرِ بماذا أجيبها، لم أعلم قصة القلادة ولكنني نويت أن أفرقهما وها أنا فعلت، لكل اِمرئ ما نوى".

قال باسم:

- " أحلام، أنا عايز أتجوزك، ايه شرطك عشان توافقي؟".

قالها أمام زوجته بكل ما تحمله نفسه من خبث وبرود. قلت أنا في مزيد من الخبث والشر الذي أعلم أنه سيحطم سلمى:

- "تطلقها".

اتسعت عينا سلمى، كانت لا تصدق أني أقول مثل هذا الكلام، لا تصدق أن تكون صديقتها منذ أعوام تفعل هذا بها، أنا أيضًا لم أصدق نفسي، لم أكن يومًا بهذا الشر، لا أظن أني سأرى نسخة من نفسي أسوأ من هذه.

أخذ باسم نفسًا عميقًا وقال:

- " سلمى، أنتي طالق ".

توقفت سلمى عن البكاء تمامًا، كانت تبدو كأنها سوف يُغشى عليها، شعرت بالشفقة الشديدة تجاهها وتجاه نفسي، إنني أصبحت شيطانًا يتحرك، كل نفس لها شيطانها، إما تغلبه وإما يغلبك. وقفت سلمى في مكانها لبرهة وبعد مرور قليل من الوقت قالت:

- "يا ويلك من ربنا يا أحلام، أنا مش هقول حاجة غير إنك هتدوقي المر من ما صنعتيه".

ثم نظرت إلى باسم وقالت:

- " إنما أنت، أنت شيطان حقيقي ولسه في وراك حاجة غير معلومة وهتبان، بس نصيبك يا أحلام إنها هتبان معاكي".

ثم استدارت وذهبت إلى الباب فتحته وأغلقته وراءها في هدوء

شديد لم أفهمه. ثم نظرت إلى باسم الذي لا أفهمه ولا أفهم سبب تصرفه هكذا.

- "أنا هاجي أطلب ايدك النهارده من عمك بس أتمنى إن فارس ميقفليش في الموضوع".

عمي! ومن قال له إني موافقة؟! قلت في كذب:

- "ماشي هستناك".

ثم سرت تجاه الباب وأنا أشعر بكل المشاعر السيئة تتدفق إلى ذهني.

- " أحلام ".

- "نعم".

- "ينفع تقابليني لوحدك الأول؟ عايزك في موضوع مهم قبل ما أكلم عمك".

قلت في عدم تركيز واكتراث:

- "ماشي، امتى وفين؟".

قال في خبث واضح:

- "في القصر القديم بتاع عمك، هو بيعيد بناؤه الأيام دي غالبًا هيكون هناك، هتكلم معاكي بعدين أكلمه الساعة ٧ ها".

- "ماشي مش مشكلة، أنا لازم أمشي دلوقتي".

ثم فتحت الباب وأغلقته وسرت إلى منزلي.

في طريقي قابلتني قطة لونها رمادي يبدو أنها ضالة، فكرت في أن آخذها معي لكي أطعمها؛ كان يبدو عليها الجوع الشديد. انحنيت لكي ألتقطها وأنا أفكر في أنها يمكن أن تعضني، بالكاد لمستها وكأنها قرأت ما كنت أفكر فيه وحققته لي، قامت بعضي عضة جعلت يدي تنزف. تأوهت متألمة من عضتها، أمسكت يدي في ألم وفكرت لِمَ تكرهني تلك القطة؟

- "ناقص إنك تبخي في وشي".

ثم كشرت القطة عن أنيابها وقامت بفحيح مرعب في وجهي. ما هذا؟ لِمَ تفعل ما أفكر فيه؟ سرت مبتعدة عنها ولم أحاول أن أفكر كثيرًا في ما فَعلته تلك القطة. قلت لنفسي بصوت منخفض:

- "ناقص أقع على وشي عشان الصورة الحلوة دي تكتمل".

ثم في ثوان معدودة قامت قدماي بلف نفسها على فستاني لأقوم بالوقوع على وجهي متأوهة من الألم.

- "في ايه بس؟ هو ليه كل ما أفكر في حاجة تحصل؟".

ثم سندت يدي التي تنزف على الأرض لأحاول أن أقوم من مكاني.

وجدت صوتًا مألوفًا يقول:

- "شرك غلب خيرك يا أحلام، يا خسارة!! ".

نظرت إلى عم ضياء صاحب الصوت ليقول مجددًا:

- " كل إنسان بيختار وأنتي اختارتي، عليكي بقى تتحملي مسؤولية اختيارك ".

هذه المرة كان ينظر إلى عيني، حاولت أن أستخدم موهبتي في أن أجعله يخبرني ماذا أفعل، تطلعت إلى عينيه في تركيز تام وأنا أثبت فكري في أن أجعله يتكلم ليفاجأني:

- " ايه الموهبة مش بتشتغل مش كدا؟ أنا سبق وحذرتك ".

قلت بصوت عالٍ متوتر:

- "يعني ايه الكلام دا؟ ازاي موهبتي تضيع؟ أنت أكيد مش عارف أنت بتقول ايه ".

- "هي مش بس ضاعت هي اتبدلت ".

قلت في خوف حقيقي:

- "اتبدلت ازاي؟ ".

قال عم ضياء بثبات:

- "معرفش، كل اللي أعرفه إنك لازم تصلّحي خطئك يا أحلام".

قلت في توتر وسرعة:

- "أصلحه ازاي؟ ده طلقها خلاص ".

قال في نوع من الأسف:

- " باسم له أسباب عديدة مخفية وموهبته استمدها منك، ربنا يتولاكي يا أحلام، استغفري وتوبي، في الاستغفار خلاصك".

ثم أنهى كلامه وسار مبتعدًا تاركًا إياي في حيرة وخوف شديد. كنت ممسكة بيدي التي تنزف دون توقف وجميع الأفكار السلبية تطاردني. يا إلهي، ماذا فعلت؟ لقد خسرت فارس وهيام و سلمى في وقت واحد، وسلمى التي كانت تريد الإصلاح بيني وبين فارس، ماذا فعلت أنا لها؟ تسببت في طلاقها من الشخص الذي أحبته بصدق.

في طريقي صادفت حصانًا يمشي في ثبات وعليه صاحبه ممسك بلجام يقود به حصانه، فكرت في ماذا سيحدث لو أفلت الرجل اللجامَ، مضت دقيقة دون أن يحدث شيء، تنفست الصعداء، ما حدث قد كان صدفة لا أكثر، لم يمر عشر ثوان أخرى حتى سمعت الرجل يصيح وصوت أرجل خيله يحوم في المكان ليرعب جميع المارين، لم أدرِ لماذا فكرت أنه سيركض ورائي، ليتحقق ما أفكر فيه وإذا بالحصان يركض ورائي في سرعة جعلتني أنسى كل شيء وركضت بأعلى سرعة

لدي ومن حسن حظي كان يوجد ممر صغير لا يستطيع الخيل دخوله فدخلته في سرعة وضربات قلبي أسمعها في أذني من كثرة ما ركضت ومن خوفي. جلست لألتقط أنفاسي وأنا أبكي في خوف حقيقي.

أيمكن أن تتحول كل أفكارك المخيفة إلى واقع؟ أي كابوس هذا الذي أنا فيه؟!!

لا أعلم ماذا أفعل، أريد فارس أن يكون معي، أحتاجه بشدة، لن يزيل هذا الخوف الذي أشعر به سواه، أول مرة أعلم أن لكلٍّ من اسمه نصيبًا، كان فارس اسمًا على مسمّى، كان فارسي الذي أضعته من يدي بسبب غروري.

يجب أن أذهب إلى هذا الباسم كي أخبره أنني غير موافقة على خطبته وأعلم ما هذا الموضوع الذي يريدني فيه بشدة. سرت إلى خارج الممر الذي كنت أختبئ به وعندما خرجت لمحت امرأة واقفة يبدو أنها تنتظر شيئًا ما، سألتها قائلة:

- " لو سمحتي هو القصر القديم فين؟".

- "قصر سليم بيه؟".

- "ممم آه ".

- "اطلعي لأعلى شاتلانتا هتلاقيه، مش أنتي أحلام اللي بتتحكم في

العقول؟".

قلت في أسي واضح:

- " آه أنا، شكرًا ".

نظرت لي في عدم فهم، لا أدري هل هي مندهشة لأنني أسأل عن قصر عمي الذي يجب أن أكون أعلم مكانه أم هي مندهشة لأنني قلت لها شكرًا؟ لا أدري أيضًا لِمَ تغير أسلوبي الفظ فجأة؟

كنت أسير في سرعة إلى القصر الذي وصفته السيدة، وصلت إلى أعلى شاتلانتا ووجدت القصر. كان قصرًا فخمًا يطغى عليه لون الذهب، ولكن به أجزاء كثيرة متساقطة، وكان يوجد على الأرضية التي تحاوط القصر كثير من الحجارة وأدوات البناء، كما قال باسم، القصر يعاد بناؤه. مشيت في خطوات متوترة إلى باب القصر لأفتحه. فتحت الباب الضخم الذي كان متروكًا بلا قفل لأجد الفراغ أمامي. قال باسم إن عمي سيكون فيه ولكن لِمَ لا أجده؟ وأين باسم؟

- "اتأخرتي ليه يا أحلام؟ ".

التفت ورائي لأجد باسم خارجًا من إحدى الغرف.

- "عارفة أنتي تعبتيني أوي عشان أوصلك، أنتي وعمك وابن عمك وبنت عمك اللي كانوا وافقين ليا دايمًا كل ما كنت أحاول أقرب

ليكي ".

حاولت أن أسير خارج القصر لم أكن مرتاحة لكلامه ولا إلى ما سيحدث شعرت بالشر يتدفق من عينه.

- " لا متحاوليش مش هتعرفي، صحيح أنا أخدت الموهبة بتاعتك هقولك كمان شوية ازاي بس خليني الأول أقولك موهبتي الأساسية ايه ".

قلت له في احتقار شديد:

- "الخداع".

قال مبتسماً:

- " ايه الشطارة دي؟ وأنتي لسه مكتشفة ده دلوقتي طبعًا، هقول ايه ما أنتي غبية، غرورك عاميكي طول الوقت ".

لا أدري بماذا أجيبه، كلامه أشعرني بمدي غبائي. أكمل كلامه قائلًا:

- " للأسف الخداع لوحده مش كفاية في موهبة أعظم بكتير، موهبتك".

- " عارفة يا أحلام مش الكل بينخدع لكن الكل ممكن نتحكم في أفكاره".

- " وأنت أخدت موهبتي ازاي بقي؟".

نظر إلى الفراغ كأنه يفكر وقال:

– " أخدتها ازاي، أخدتها ازاي، سهلة، كل اللي عملته خليتك تتخلصي منها، المواهب ليها صلاحية لو استخدمت غلط بتتاخد منك ".

– "وأنت أخدتها ازاي برضو؟".

– " سحر ".

– "ايه؟ ".

– "زي ما سمعتي، استعنت بساحر عشان لحظة ما موهبتك تتاخد تتنقل ليا ".

كيف يكون شخص بهذه الوضاعة.

– " دلوقتي أعظم موهبة في شاتلانتا أخدتها ومش فاضل حاجة غير إني أتحكم في فارس وهيام وعمك وكل حاجة هتبقي ليا ".

– "كل حاجة ازاي؟ ".

قال في ابتسامة صفراء:

– "كل حاجة في شاتلانتا، الفلوس والموهبة والحسب والنسب، بالمناسبة أنا هتجوز هيام، مش شريرة زيك ".

– "عمرها ما هتوافق عليك".

– "ما أنا عارف، هي فاهماني كويس أنا هتحكم في عقلها وهتوافق، عارفة يا أحلام أنتي الوحيدة اللي كان ممكن توقفني، بس بسبب غرورك وغبائك وسبب حب آذيتك لسلمى اللي أنا مش فاهمه لحد دلوقتي هو اللي سهل كل حاجة".

شعرت بالندم الشديد وأنا لا أدري ماذا أفعل، ثم قام باسم من مكانه وكان بيده مفتاح ضخم وقال:

– " دلوقتي أنتي هتختفي وللأبد يا أحلام، فارس هتحكم في عقله وهخليه يموّت نفسه، هيام هتجوزها، أنتي بقى عشان تعرفي أنتي غالية عليا قد ايه، جبتلك مرايتك اللي بتحبيها أهي".

ثم أشار بيده ونظرت إلى حيث أشار وكانت المرآة موضوعة.

– " ايه بقى اللي هيحصل؟ أنتي اقعدي بصي في مرايتك لحد ما ييجوا الصبح، مش عشان ياخدوكي لا، عشان القصر هيتهد بكرة ولما جبتلك سيرة القصر واضح إنك مكنتيش عارفة موضوع هد القصر ده، وبالمناسبة متحاوليش تطلعي صوت عشان أنا متحكم في عقلك ومانعك من الكلام، يلا متقلقيش أنتي وفارس هتحصلوا بعض، ابقي سلميلي عليه ".

ثم فتح باب القصر وأغلقه وراءه. جلست مكاني لبرهة من الوقت

لا أدري ما يجب فعله، حاولت أن أتكلم لكني لم أستطع، لم يكذب إنه متحكم في عقلي، يا ويلاه ضاعت موهبتي هباءً ولمن؟ لأحدٍ لا يستحقها البتة ولكن هل كنت أستحقها؟

لأول مرة أجرب مرارة ما أذقته للناس الذين تحكمت بعقلهم، هيام على حق؛ لا يجب أن أستخدم موهبتي إلا للحق، لا يجب على الناس أن يستخدموا مواهبهم إلا في رضا الله وعمارة الأرض، استخدامها لجعل الحياة أجمل لا أقبح.

حاولت أن أبحث عن أي مخرج، ذهبت إلى جميع الغرف والنوافذ لكن بالطبع فشلت محاولاتي كلها، كي أبقى أنا ومرآتي في النهاية، المرآة التي لطالما نظرت لها في غرور معجبة بكيف خلقني الله ونسيت أن أحمده على نعمه وأن أستخدم ذلك الجمال والموهبة في رضاه.

ذهبت إلى مرآتي أنظر إلى وجهي فيها، لكي أجده تعسًا كئيبًا لا يبدو عليه علامات الجمال، كأن روحي ذات الطبع القبيح قد أطلت على وجهي. كان وجهي مليئًا بالتراب الذي أظنه من أثر الوقعة التي وقعتها، يدي تنزف بلا توقف، روحي تتبخر من عينيّ اللتين كانتا مشعتين تلمعان لتصبحا منطفئتين يملؤهما الحزن.

نظرت إلى مرآتي التي أود أن أقول لها: يا مرآتي، لَمَ لمْ تخبريني من قبل أن غروري سيكون سبب موتي؟ وددت الكلام لكن عجزت كل ما

تذكرته وقتها حلم حلمته منذ زمن، عندما كنت في عالمي، حلمت من قبل أنني كنت في سفينة كبيرة وكان موج البحر عاليًا جدًا فإذا بي أنزلق إلى قاع البحر لكي يبتلعني حوت ضخم وأستقر في بطنه تمامًا كما حدث مع نبي الله يونس.

هذا الحلم الذي جعلني مرة أبكي وأنا نائمة أفقت منه لأجد دموعي تغرق وجهي.

تذكرت دعاء سيدنا يونس في بطن الحوت، كم تمنيت أن يعود لي صوتي كي أردده.

جلست أردد الدعاء في ذهني.

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

لأشعر بعدها بالراحة والسكينة وتقبل المصير الذي أنا فيه.

جلست على الأرض لأجد بعدها أنوار القصر تغلق ليكون الظلام رفيقي، لم أخف يومًا من الظلام على العكس كان ونيسي الدائم. نظرت إلى المرآة التي تلمع في وسط الظلام وحينها تذكرت الحلم؛ حلمي قبل أن آتي إلى شاتلانتا، عندما طعنني باسم في الحلم والمرآة كانت المخرج لي. تذكرت القلادة وكيف رسمت بها على المرآة ففتحت لي بابًا في المرآة.

أمسكت بالقلادة المعلقة على رقبتي ونزعتها في سرعة وتوتر. أمسكتها وحاولت أن أرسم بها على المرآة لكن دون فائدة، حاولت مجددًا ومجددًا لكن جميع المحاولات انتهت بالفشل. فكري يا أحلام ماذا يجب عليكِ أن تفعلي فكري.

فارس؛ سوف يتحكم به باسم ويجعله يقتل نفسه إن لم أجد حلًا. يا إلهي، امنحني الحكمة والرشد، يا معلم سليمان علمني ويا مفهم داوود فهمني. تذكرت كلمات عم ضياء:

- " موهبتك اتبدلت ".

كيف تبدلت؟ هل لها علاقة بكيفية تفكيري في الشيء وحدوثه لكن كلها كانت أشياء سيئة، لكني لم أفكر إلا في الأشياء السلبية. إن فكرت في أن هذه المرآة ستفتح لي بابًا هل ستنفذ أفكاري؟ هل سيتحقق خيالي؟ أغمضت عيني وأنا أحاول أن أضع تركيزي كله في فكرة أن المرآة ستفتح إن رسمت عليها بابًا بالقلادة. وأنا ما زلت مغمضة لعيني رسمت شكل الباب على المرآة لأفتح عينيّ بعدها وأجد المرآة يحترق مكان الرسمة لتفتح لي بابًا في مشهد شبيه بالحلم ولكنه في واقعي هذه المرة. وضعت يدي في المرآة لأجدها تدخل إلى الجهة الأخرى التي لا أعلم بعد أين هي. أخذت نفسًا عميقًا وأدخلت يدي الأخرى ثم قدميَّ ثم رأسي لأجد نفسي في غرفتي التي تركتها صباحًا.

- "شكرًا يا مرايتي ".

لأجد صوتي عاد معي إلى غرفتي. الحمد لله الحمد لله يا رب، كم أنت كريم يا ربي!!

فارس يجب أن أجده. فتحت باب غرفتي لأنزل السلالم في سرعة كدت أقع منها.

ناديت بأعلى صوتي:

- " فارس، فارس ".

أبحث عنه في كل مكان ولا أجده، أين هو؟ اندفعت إلى داخل المطبخ لأجد فارس ممسكًا بسكين ضخم ويقربه إلى شرايين يده.

- "لا يا فارس، باسم اللي متحكم في عقلك أرجوك متعملش كدا ".

لينظر لي فارس بعين مسحورة تبدو كالمرآة كأنه لا يراني. فكري يا أحلام بسرعة، فكري في أن فارس ينزل السكين من يده. أغمضت عيني وأنا أتخيله يرمي بالسكين بعيدًا وسمعت صوت رنة السكين على الأرض. فتحت عينيّ لأجد فارس يبدو وأنه أفاق مرة أخرى وعادت عيناه إلى شكلهما الطبيعي، عيناه اللتان أحببتهما كثيرًا وما زلت أحبهما، عيناه اللتان أحبهما في أي زمان وأي مكان.

- "أحلام".

– " أنا آسفة يا فارس آسفة بجد، آسفة من كل قلبي أنا محتجالك ومش عايزاك تبعد عني تاني ".

قال فارس في صوته الحنون:

– "أحلام اللي بحبها رجعتلي تاني ".

قلت في ابتسامة واسعة:

– "أيوه رجعت ومش همشي تاني أبدًا".

– "أنتي قد الجملة دي؟".

قلت في عناد:

– "آه قدها".

نظر فارس إلى يدي وقال:

– "ايه اللي حصل في إيدك؟".

تذكرت هيام:

– "مش وقته، احنا لازم نلحق هيام ".

– "ايه اللي حصل؟ وازاي باسم بقى عنده موهبتك؟".

قلت وأنا أجذب يده إلى الخارج:

– "موهبة باسم الخداع، خدعنا كلنا، خدعني وخدع سلمى، بس

مكنتش موهبته دي كفاية كان مركز معايا عشان عايز ياخد موهبتي، خلاني أستخدمها غلط وطبعًا مبررش استخدامي الغلط لموهبة التحكم، المهم استعان بساحر عشان أول ما موهبتي تروح ياخدها ".

- " وازاي عرفتي توقفيني عن إني أموت نفسي طالما موهبتك راحت؟".

- "هو أنا مقلتلكش".

- "لا مقلتليش".

قلت في ابتسامة ماكرة:

- "موهبتي اتبدلت".

- "اتبدلت بايه؟".

- "أفكاري بتتحقق، الحلوة والوحشة ".

- "يا ربي، عشان كدا عرفتي تهربي".

- "أنت عرفت منين؟".

قال في نفس الابتسامة الماكرة:

- "بقرأ الأفكار يا أحلام متنسيش".

ابتسمت في بلاهة وقلت:

- "صح نسيت ".

كنا قد وصلنا إلى باب المنزل عندما ظهرت هيام فجأة عند الباب ووجهها في قمة الشحوب وقالت:

- " أنتو عايشين؟ ازاي؟".

قال فارس في انتصار وزهو:

- " أحلام أنقذتني".

قلت لها في سرعة:

- " وأنتي عرفتي ازاي تخلصي من باسم؟".

قالت في بساطة:

- "اختفيت ".

- "ازاي؟ ".

- "ملحقش يتحكم في عقلي، كنت موجودة وهو بيكلم فارس بس كنت مختفية، سمعت الحوار كله ورحتلك القصر بس ملقتكيش، كنت خايفة فارس يكون موت نفسه بس الحمد لله أنتي لحقتيه ".

قال فارس مدعيًا الغضب:

- " وأنتي يعني رحتي تنقذيها هي الأول وسبتي أخوكي يعني؟".

هما إخوة في تلك القصة إذًا.

ابتسمت لكلامهما وقلت:

- "احنا لازم نلحق باسم قبل ما يروح لعمي".

قال صوت مهيب من خلفي:

- "وأنتي فاكرة إن أي حد يقدر يضحك على عمك يا أحلام؟".

التفت إلى صاحب الصوت فوجدت رجلًا يشبه جدي سليم الراحل إلى حد كبير، كنت رأيت صورته المعلقة عند مكتب أبي، لم أره في الحقيقة؛ لأنه تُوفي قبل أن أولد، إنه عمي هنا وجدي في حياتي الأخرى.

قال:

- " هو هييجي حالًا متقلقيش وعايزك تفكري ازاي هتتخلصي منه لما ييجي، استخدمي موهبتك الجديدة دي في الخلاص منه".

قلت في صوت منخفض:

- "أوي أوي من عنيا".

قال فارس في مرح:

- " وأنت بقى يا بابا كنت شايف بموهبتك إن كل الأحداث دي

هتحصل؟".

قال عمي:

- " أكيد طبعًا موهبة التنبؤ عمرها ما غلطت عندي".

ثم نظر لي نظرة ذات معني وقال:

- "بس كان لازم كل حاجة تمشي بقدر ربنا عشان نتعلم".

نظرت إلى الأرض وأنا أشعر بالخجل من نفسي ومن ما فعلت طوال الوقت.

قال عمي:

- "ياما الإنسان بيغلط المهم إنه يتعلم من غلطه".

ثم سمعنا الباب يفتح وإذا بباسم يدخل وفي عينيه الشر. فكرت بسرعة في أنه يقع مغشيًا على الأرض ليتحقق ما فكرت فيه على الفور. قلت إلى عمي:

- " أهو عندك أهو، سلمه بقى للشرطة ".

ابتسم عمي وقال:

- "ماشي، بالمناسبة يا أحلام أنا شايف إن فرحكو هيبقى الأسبوع اللي جاي، قلتي ايه؟".

ابتسمت في خجل ونظرت إلى فارس وقلت:

- " اللي تشوفه يا عمي ".

- " على بركة الله ".

ثم قام عمي بنداء أحد العاملين في الخارج ليحملوا باسم وذهب إلى الخارج.

نظرت إلى فارس وهيام في امتنان وقلت لهما:

- " عن إذنكم في حاجة لازم أعملها الأول ".

نظر لي كل من فارس وهيام في تفهم وهز فارس رأسه موافقًا. ذهبت إلى غرفتي لكي أكتب خطابًا إلى سلمى، أخذت ورقة ووجدت بعض الريش والحبر بالطبع لا يوجد أقلام وجلست على أحد المقاعد أكتب:

"عزيزتي سلمى، أسف الدنيا كله مش هيكفيكي، احنا أصحاب وفي كل زمن هنبقى أصحاب ومعنديش فكرة احنا في كل زمن هنتخانق كدا ولا لأ، بس اللي متأكدة منه إننا في كل زمن كل ما هنشوف بعض هنبقى أصدقاء، ومفيش حاجة هتمنعنا من الصداقة دي غير نفسنا اللي بتضحك علينا وبتخلينا نسمع كلام الشيطان، أنا بعزمك على زفافي على فارس اللي هيبقى بعد أسبوع، بعزمك وكلي أمل إنك تسامحيني وتنسي اللي أنا عملته ونفتح صفحة صداقة جديدة، مستنياكي".

ثم أنهيت خطابي لها وأنا في غاية التأثر بما تذكرته وأنا أكتب هذا الخطاب، كنت أنتظرها من قبل لتعتذر عما قالته ولكنها لم تفعل، يا الله، كم من صداقات انتهت وعلاقات تبخرت بسبب عدم الاعتذار وقلة التقدير!! نحن لسنا ملائكة نحن بشر نخطئ ونُصيب، نريد أن يكون هناك أحدٌ ليصفق لنا عندما نُصيب، عندما نخطئ نريد التفهم والاحتواء، نريد أن يسألنا الشخص: لِمَ أخطأنا؟ نريد أن نطمئن أننا في داخلنا الخير وأن ما اقترفناه لم يكن إلا من نفسنا الضعيفة التي أحيانًا نستمع إليها.

ذهبت إلى الفراش الرمادي لكي أحاول النوم قليلًا، كان يومًا شاقًا ومليئًا بالأحداث الكثيرة والغريبة، أرحت رأسي على الوسادة في انتظار أن يأتي النوم إلى عيني، أغمضت عيني وأنا أتساءل: ماذا يخبئ لي الغد؟

فتحت عينيّ لأجد نفسي على سريري الوردي في غرفتي القديمة، في منزل أبي، يا إلهي، هل عدت أخيرًا إلى عالمي أم أنا أحلم؟

أنزلت قدميّ من على الفراش ووضعتهما على الأرض لأجد الأرضية في غاية البرودة، ألم نكن في فصل الربيع؟ لِمَ حل الشتاء فجأة؟!!

استمعت إلى صوت دقات ساعة آتية من نهاية الغرفة، التفت لأجد ساعة معلقة على الحائط، لم تكن معلقة من قبل، كانت ساعة سوداء بها عقارب فضية تشير إلى العاشرة، ألم تكن تلك الساعة في حلمي الأول؟!

في حلمي الأول كانت الساعة متوقفة عند العاشرة، ما هذا الذي يحدث؟ عقارب الساعة الفضية ترجع إلى الوراء بدل أن تتحرك إلى الأمام، كأن هناك أحدًا يحركها إلى الخلف!!

كانت العقارب تعود إلى الوراء في حركة سريعة أشعرتني بالدوار، أغمضت عيني قليلًا من شدة الدوار الذي حل برأسي وفتحتها لأجد العقرب توقف عند الساعة الثانية عشرة.

سمعت صوت ضوضاء منبعثة من الخارج، سمعت صوت أبي يتكلم مع صوت أنثوي لا أعرفه ولكنه مألوف للغاية. فتحت الباب ورأيت أبي يتحدث مع امرأة لا أعرفها، لها شعر غجري طويل، كستنائي اللون به خصل حمراء متمردة على لون الشعر البني.

لم أر وجهها كانت تعطيني ظهرها وهي تتحدث، الغريب في الأمر أن أبي لم يلحظني إلى الآن، كنت واقفة أمامه تمامًا ولكن لسبب لا أعلمه لم يبدُ وكأنه يراني. حاولت التحدث لكي أعلمه بوجودي فقلت:

- "بابا أنا رجعت ".

لا شيء. لأقول مجددًا:

- "بابا أنت سامعني؟ ".

لا شيء، لا ينظر لي حتى. ما الذي يحدث؟! لم ينظر لي ولم تلتفت لي المرأة أيضًا!

ذهبت إلى أبي وحاولت جذب يده لكي يراني لكن بلا فائدة كأنني غير موجودة البتة!!

التفت إلى المرأة كي أرى وجهها وصدمت مما رأيته. كأنني أنظر إلى نفسي ولكن في وجه أكثر جمالًا ونضجًا. نفس العيون نفس الفم، أنفها مستقيم عن أنفي وبشرتها أكثر حُمرة، كان لي عين أكبر من الأخرى، لم أفهم يومًا سببها لأجد تلك المرأة تمتلك نفس العين الواسعة عن الأخرى. إنها المرأة التي رأيتها في الحلم الأول، التي كانت تحملني في الصورة وأنا رضيعة. لكن لِمَ كل هذا التشابه؟ هل هي قريبتي؟

تحدثت فجأة إلى أبي وهي تعطيه الجريدة التي لم ألحظها من قبل في

يدها وقالت:

- " ألف مبروك يا حبيبي، الجرايد كلها بتتكلم عن العملية الناجحة اللي عملتها امبارح، مفيش جراح في مصر كلها شاطر زيك ".

قال أبي في سعادة حقيقية لم أرها يومًا في عينيه وهو يتحدث إلى أمي:

- " لا في شاطرين كتير بس لسه فرصتهم مستنياهم".

قالت المرأة وعيناها تشعان حبًّا وتقديرًا:

- " مش حبيبتك سارة قالتلك، أحلام هيبقى عندها أعظم أب في الدنيا".

حبيبته!! هل أبي كان متزوجًا قبل أمي ولكن كيف تعرف اسمي؟ قال أبي وهو يُمسك يد سارة وقال في حب شديد:

- " أنا مليش غيرك أنتي وأحلام، أنتي اللي هتبقي أعظم أم ليها ".

ماذا؟! إنها ليست أمي، أمي امرأة ليس لها علاقة بتلك السيدة ثم إن أمي اسمها مروة، ما الذي يقوله أبي؟! ثم التفتت سارة والتفت معها عندما سمعنا صوت بكاء طفل قادمًا من غرفتي!! لم أر أي أطفال عندما كنت في الغرفة! قالت سارة:

- " هشوف أحلام جايز جعانة ".

ثم ذهبت إلى غرفتي وذهب معها أبي وترك على منضدة الجريدة التي

كانت في يده.

التقطت الجريدة لأرى العنوان الرئيس: (سليمان سليم، الجراح البارع يحقق تقدمًا لم يسبق له مثيل).

لم تكن تلك المرة الأولى التي أرى فيها عناوين كهذه في الصحف لأبي، كنت قد اعتدت على مثل هذه الأشياء ولكن ما كنت أبحث عنه هو تاريخ اليوم. نظرت إلى أعلى الصفحة؛ حيث التاريخ موضوع لأرى ما أدهش عقلي؛ (١٠ نوفمبر ٢٠٠١)، أنا عدت بالزمن تسعة عشر عامًا إلى الوراء!! إنني يجب أن أكون في عامي الأول!! تذكرت الطفل الباكي أو الطفلة، هل هي أنا؟

ذهبت إلى الغرفة المفتوحة لأرى ما أظنه صحيحًا، أنا موضوعة في يد سارة وأنظر لها في براءة وهي تنظر لي في حب شديد، لم أَرَ أمي تنظر لي يومًا هكذا. وفي نفس الوقت أبي ينظر لسارة في حب شديد لم أره يومًا ينظر إلى أمي في مثل هذا الحب. سمعت صوت دقات الساعة مرة أخرى، التفت لها لأجدها تتحرك إلى الأمام مرة أخرى في سرعة ولكنها لم تُطل التحرك هذه المرة، توقفت عند الساعة الخامسة. التفت لأجد المشهد يتغير؛ أبي يحملني و...، ما هذا؟ هل يبكي أبي؟ رأيت دموعه تتساقط على وجهه في غزارة، ورأيته يمسك الهاتف المنزلي ويطلب رقمًا ما.

- "آلو، الحقيني يا مروة ".

أمي. في دقائق معدودة وجدت التي أظنها أمي مروة تندفع إلى داخل الغرفة في سرعة شديدة وتقول:

- "في ايه يا سليمان؟".

قال أبي في حزن شديد:

- " سارة حاولت تنتحر ومش بس كدا كانت هتئذي أحلام، بصي عوّرتها في إيدها ازاي ".

ثم نظرتُ إلى حيث أشار ونظرتْ معي مروة. كان مكان ما أشار إصابة قوية جعلت مكانها خياطة طبية واضحة، نفس المكان الذي عضّتني منه القطة من قبل في شاتلانتا، نفس المكان الذي به علامة في يدي إلى الآن. قالت مروة:

- "ازاي تعمل في أحلام كدا؟ دي بنتها ".

ابنتها؟! سارة أمي حقًا؟! لكن كيف لم يخبرني أبي من قبل؟ ما الذي يحدث؟

قال أبي:

- " أنا مش فاهم حاجة ".

ثم نظر لها في عين تملؤها التساؤل والحزن وقال:

– "مروة، أنتي أختها وخالة أحلام وأنتي دايمًا قريبة لسارة، وفي الفترة الأخيرة كنتي دايمًا معاها، ازاي هي اتحولت كدا؟ ايه اللي حصل؟ ازاي تاخد أدوية تئذي بيها نفسها كدا وهي اللي دارسة علم النفس كويس وطول عمرها بتساعد الناس إن هما يتخلصوا من مشاكلهم النفسية؟! في حاجة أنا مش فاهمها".

قالت مروة في هدوء وبرود شديد:

– " أنا سبق وحذرتها قبل كدا من الأدوية اللي بتاخدها، قالتلي إن بعد الولادة جالها اكتئاب شديد ومش قادرة تتحمله، قالت إن الأدوية مفيهاش أي ضرر وإنها بتكتبها أساسًا لكتير من المرضى اللي بيجولها العيادة".

قال أبي في مزيد من الأسي:

– "معدش في عيادة، أنا قفلتها امبارح، معدتش قادرة تاخد بالها ولا من نفسها ولا من حد ولا حتى من أحلام بنتها".

قالت مروة:

– "لازم تدخلها مصحة".

اتسعت عينا أبي في دهشة وقال:

– "مصحة؟ازاي؟ بقى الدكتورة اللي ياما عالجت ناس تدخل هي

مصحة؟ ".

قالت مروة:

- " هو ده الحل الوحيد، هي معدتش قادرة تميز الواقع من الخيال، طول الوقت بتتكلم على حاجات غريبة وإنها من عالم تاني وغالبًا بقت بتخلط أحلامها بالواقع".

قال أبي:

- " أنا مش مصدق الحال اللي وصلتله حبيبتي سارة ".

قالت مروة في تصنع:

- " والله وأنا زعلانة جدًا عشانها ".

قال أبي:

- " أنا هكلم حد صديقي عنده مصحة كويسة، أنا هخاف على أحلام منها وخايف هي تئذي نفسها ".

ابتسمت مروة ابتسامة سريعة وأخفتها وقالت:

- " ربنا يشفيها وترجع لبنتها بالسلامة ".

قال أبي:

- "يا رب، أنا مش متخيل حياتي من غيرها ".

كنت في هذه اللحظة لا أعي شيئًا، كل حياتي كانت كذبة، ألهذا كانت تعاملني خالتي في قسوة؛ لأنها لم تكن أمي أساسًا؟

سمعت دقات الساعة مرة أخرى ووجدت العقارب الفضية تعود إلى الوراء هذه المرة لتتوقف عند الساعة العاشرة مجددًا. وهذه المرة لم أجد أحدًا في الغرفة ولكني سمعت صوتًا قادمًا من الطابق السفلي. نزلت السلالم إلى حيث سمعت الصوت ووجدته قادمًا من المطبخ. ذهبت إلى هناك لأجد أمي سارة وخالتي التي تدّعي أنها أمي.

كانت مروة تعد كوبًا من الشاي والذي يبدو أنه لأمي؛ لأنها كانت تجلس على طاولة المطبخ ويبدو عليها الإرهاق التام، وفي اللحظة التي وضعت أمي يدها على وجهها قامت خالتي مروة بسكب شيء في الشاي لم أعرف ما هو، ولكنها وضعته في سرعة وقلّبت الشاي بالملعقة وأعطته لأمي التي لم تنتبه. شربت أمي من الكوب وقالت:

– "شكرًا يا مروة أنا مش عارفة من غيرك كنت هعمل ايه، أنا مش عارفة مالي مبقتش مظبوطة، مستحيل الأدوية اللي باخدها عشان تعالج الاكتئاب اللي جالي بعد الولادة تعمل كدا، كلها أدوية أنا عارفة محتوياتها كويس أنا بفكر أبطلها".

قالت مروة في خبث:

– " لا اوعي تبطليها هي هتساعدك تخلصي من أعراض الاكتئاب

دي ".

ثم سمعنا صوت بكاء قادم من أعلى.

قالت سارة:

- " دي أحلام صحيت، أنا هروح أشوفها ".

قالت مروة:

- "استني هاجي معاكي- "

ثم ذهبت الاثنتان إلى أعلى، في حين قمتُ إلى حيث وضعت مروة حقيبتها. أمسكت الحقيبة وفتحتها في سرعة لأجد علبة دواء عليه مصطلح لاتيني. أتذكر هذا الدواء من دراستي، ألم يكن دواءً يستخدم لحالات الصرع الشديدة؟! نعم إنه هو، أذكر أيضًا أننا درسنا أنه مُنع من الأسواق لشدة خطورته!! فتحت العلبة لأجد نصفها فارغًا!!

أمسكت المذكرة الموضوعة في العلبة وبدأت قراءتها، كان كما تذكرت دواءً يستخدم لعلاج حالات الصرع الشديدة!! ليس هذا فحسب ما صدمني، ما صدمني أنه كان مكتوبًا عليه تحذير هام: (لا يُستخدم مع أي أدوية مضادة للاكتئاب، يمكن أن يسبب أضرارًا عديدة منها عدم قدرة العقل على رؤية الواقع وحدوث فصام ذهني يمكن أن يؤدي إلى إيذاء النفس أو المحيطين).

كانت تعلم أنها تستخدم أدوية مضادة للاكتئاب وبالرغم من هذا وضعت لها هذا الدواء الذي تعلم جيدًا أنه يمكن أن يضرها. ما هذا الواقع الأليم؟ إنه أشد قسوة من خيال رينكلير وشاتلانتا. أيمكن أن يفعل الأخ بأخيه هذا؟ و لِمَ لا؟ فقد فعل قابيل بهابيل أخيه هذا. يا ربي، ماذا أفعل؟

ذهبت إلى غرفتي التي بدأ منها كل شيء لأجدها فارغة تمامًا، سمعت دقات الساعة تدق مرة أخرى فنظرت لها ووجدتها تتحرك إلى الأمام حتى توقفت عند الساعة العاشرة للمرة الثالثة. التفت إلى غرفتي لأجد أبي يجلس مهمومًا وبجانبه مروة. قال أبي:

– " أنا مش عارف أعمل ايه، أنا سايب الشغل بقالي أكتر من شهر عشان أحلام ولازم أرجع الشغل ضروري، والدكتور اللي متابع مع سارة في المصحة قايلي إن مفيش أي أمل في علاجها ".

قالت مروة في خبث شديد:

– " أنا هخلي بالي من أحلام بس زي ما أنت عارف أنا مطّلّقة وميتفعش آجي هنا علطول".

قال أبي:

– "تقصدي ايه يا مروة؟".

قالت مروة:

- " تتجوزني وبالطريقة دي هخلي بالي من أحلام ".

قال أبي في حزن:

- " بس أنا مش عايز أتجوز، أنا مش ممكن أحب حد غير سارة ".

نظرت مروة إليه في حقد شديد وقالت:

- " أنت هتتجوزني عشان أربي أحلام مش أكتر ".

ثم قالت في مكر:

- "بس لازم تطلق سارة زي ما أنت عارف مينفعش تتجوز أختين".

قال أبي:

- " لله الأمر ".

قالت مروة في مزيد من الخبث:

- " بس أحلام مينفعش تعرف حاجة عن مامتها، عشان متدخلش في أزمة نفسية، هنفهمها إني أنا مامتها ".

قال أبي:

- " معقولة الكلام ده؟ هنمحي خالص وجود مامتها؟ ".

قالت مروة:

- "كله عشان مصلحة أحلام".

قال أبي مجددًا:

- "لله الأمر".

لم أستطع أن أتحمل أكثر، لا أقدر على هذا الكم من الألم، الواقع أشد مرارة وحزنًا من كل شيء. سمعت صوت الساعة آتية لكنها هذه المرة لم تتحرك ظلت متوقفة عند العاشرة. أغمضت عيني وأنا أحاول أن أهرب من كل هذا.

في عنبر مستشفى الصفوة المركزي تلقى جهاز قياس نبضات القلب من ثلاثة أشخاص سرعة في معدل ضربات القلب. قالت الممرضة الواقفة بالقرب من الجهاز:

- "دكتور سليمان، بنت حضرتك واتنين من زمايلها اللي كانوا على الأتوبيس ضربات قلبهم عالية".

قال الدكتور سليمان في أمل ورجاء:

- "يبقى أحلام هتفوق دلوقتي أنا متأكد".

لم تمض ثوان معدودة حتى أفاق كلٌّ من أحلام وهيام وفارس في نفس التوقيت.

فتحت أحلام عينيها وجلست معتدلة ونظرت حولها فوجدت أباها

ينظر إليها في عينين تملؤهما الدموع وقال:

- "حمد الله على السلامة يا أحلام ".

- "بابا، هو ايه اللي حصل؟".

قال سليمان:

- " الباص اللي كنتي رايحة بيه الرحلة عمل حادثة وأنتو ماشيين في الطريق، كلكو كويسين الحمد لله بس أنتي واتنين زمايلك دخلتوا غيبوبة بقالكم تلات أيام فيها، الحمد لله إنك بخير ".

قالت أحلام:

- "زمايلي مين؟".

قال سليمان:

- "أهُم وراكي، هما فاقوا في نفس الوقت اللي فوقتي فيه".

نظرت أحلام وراءها لتجد فارس وهيام ينظران إليها ويبدو أنهما على وشك الكلام.

قال سليمان:

- " أنا هروح أكلم مامتك أقولها إنك فوقتي ".

- "هي مجتش ليه؟ ".

قال سليمان في شيء من التوتر:

- "كان عندها حاجات بتخلصها مش هتأخر عليكي".

ثم سار مبتعدًا وسارت وراءه الممرضة ليتركا العناية المركزة لا يوجد فيها أحد إلا أحلام وهيام وفارس. قالت أحلام بسرعة:

- " هيام، أنتي جيتي الباص لقتيني نايمة؟".

قالت هيام:

- " آه مرضتش أصحيكي وركبنا كلنا ومفيش عشر دقايق والحادثة حصلت ".

قالت أحلام:

- " اشمعنى أنا وأنتي وفارس اللي دخلنا غيبوبة؟".

قال فارس:

- " أنتي عرفتي اسمي ازاي؟".

قالت أحلام:

- "أنت معانا في الجامعة؟".

قال فارس:

- " لا أنا متخرج بقالي سنتين، أنا كنت جاي مرافق مع هيام هي

أختي".

فارس وهيام إخوة. قال فارس مجددًا:

- " أنتي عرفتي اسمي منين يا أحلام؟".

قلت في صدق تام:

- "حلمت بيك".

- "حلمتي بايه؟".

- "حلم غريب شوية؛ مدن خيالية وحكايات أساطير ".

قالت هيام في سرعة:

- " وأنا كمان حلمت ببلد اسمها رينكلير وكنت لابسة أصفر وأنتو كنتوا رسامين ولابسين أبيض وبلد تانية كدا مش فاكرة اسمها...".

لأقول أنا وفارس في نفس الوقت:

- "شاتلانتا".

لينظر ثلاثتهم في انبهار إلى بعضهم وقالت أحلام:

- " أنا لازم أعمل حاجة ".

- " ثم جذبت الأشياء المعلقة على يدها وقلبها وركضت إلى خارج الغرفة لتجد أباها مهمومًا فقالت له في سرعة:

- " بابا، مروة خالتي مش أمي صح؟".

لينظر لها والدها في انبهار ويقول:

- " عرفتي منين؟".

قالت أحلام:

- "حلمت بكل حاجة، ماما متجننتش، خالتي مروة هي اللي حطّتلها الدوا الممنوع أخده في الشاي واتفاعل مع الأدوية بتاعت الاكتئاب، مروة كانت مخططة لكل حاجة عشان كانت عايزة تاخد مكان ماما، خدعتها وخدعتك ".

لم يستطع سليمان التكلم كان مصدومًا. قالت أحلام:

- " أرجوك خدني المصحة اللي ماما فيها، لما تشوفنا هترجع تاني كويسة ".

قال سليمان:

- " حاضر، أنا آسف يا أحلام إني خبيت عليكي، أقنعتني مروة إن ده هيضرك وآسف إني مكنتش بهتمّ بيكي وإني كنت مضيّع وقتي كله في الشغل، بس صدقيني كان هروب من حياتي اللي مكنش ليها أي طعم من غير مامتك".

قالت أحلام:

- " احنا هنروح دلوقتي نصلّح كل اللي فات ".

ثم انطلقا إلى أن وصلا إلى مصحة العباسية وأخذ والدها إجراءات سحب طليقته المريضة والذي بالطبع كان إجراءً معقدًا لكن أكد فيها أنها لم تكن مريضة وأنها كانت تحت تأثير أدوية أعطتها لها أختها الشقيقة بالإكراه. سُمح لهما في النهاية بأخذها وأصرت أحلام أن تقابل أمها أولًا.

دخلت أحلام إلى الغرفة التي تنتظر بها والدتها الحقيقية. كانت تجلس سارة في هدوء شديد، وذهبت إليها أحلام في سرعة ونظرت إلى وجهها الذي أهلكته الحياة وقالت:

- " أنا أحلام يا ماما، أنا عرفت كل حاجة، مش أنتي السبب مروة اللي عملت كل ده ".

لتنظر لها والدتها بعيون أغرقتها الدموع وقالت:

- " أنا كنت بدعي ربنا كل يوم إنه يردّك ليا وأخيرًا حصل ".

ثم أخذت سارة أحلام في عناق دام لمدة شعرت معه أحلام أنها في وطنها الحقيقي.

في منزل الدكتور سليمان سليم كانت مروة تنتظر عودة أحلام وسليمان. دخلت أحلام وأبوها ووراءهما أمها الحقيقة وعندما رأتها

مروة شحب وجهها وقالت:

- "هي بتعمل ايه هنا؟".

ليقول سليمان:

- "داخلة بيتها، بالمناسبة أنتي طالق يا مروة زي ما أنتي عارفة مينفعش أتجوز أختين".

كانت مروة في حالة صدمة مما يحدث وقالت سارة:

- " ليه يا مروة عملتي فيا كدا؟ أنا عمري ما آذيتك ".

قالت مروة في حقد شديد:

- " ليه؟ عشان أنتي طول عمرك بتاخدي كل حاجة، درستي أحسن دراسة واتجوزتي الجراح المشهور وخلفتي وأنا مكنتش عارفة أعمل ولا حاجة من دول ".

لتقول سارة:

- " تقومي تئذيني كدا؟ ربنا يسامحك".

نظرت لها مروة نظرة أخيرة مليئة بالحقد والكراهية ولكنها خالية من الندم لتظهر أن جانب الشر فيها قد طغا على خيرها. ليدخل بعدها رجال الشرطة بعد أن سمعوا كل شيء ليأخذوا مروة التي أصبح مصيرها السجن.

بعدها بعام في إحدى الفنادق المشهورة قالت هيام:

- " أنا مش مصدقة إنك هتتجوزي فارس أخيرًا، مين كان يعرف إن الحوادث والأحلام بتعمل كدا".

قالت أحلام في سعادة:

- "ده قدر ربنا يا هيام ".

كانت أحلام تعدل حجابها على وجهها الذي أوفت بقرارها الذي أخذته قبل الرحلة.

دخلت أمها سارة وقالت في إشراقة وسعادة بعد أن استردت صحتها وعافيتها:

- " أنا مش مصدقة إن النهارده فرح بنوتي أحلام ".

ليدخل فارس بعدها يحاول أن يسترق النظر إلى شكل أحلام بفستان الزفاف وقال:

- "أنا كمان مش مصدق إني هتجوز أحلام أخيرًا".

قالت سارة:

- " مينفعش تشوفها في فستان الفرح ده فال وحش ".

قال فارس مبتسماً وهو ينظر إلى أحلام:

- " احنا عدينا كل الفال الوحش خلاص".

خرجت سارة بعدها من الغرفة لتترك أحلام وهيام وفارس لتقول هيام:

- " تفتكروا ايه معنى إننا احنا التلاتة حلمنا نفس الحلم؟ ".

قال فارس:

- "توارد أحلام ".

و قالت هيام:

- " أنا شاكة إن احنا رجعنا بالزمن".

لتقول أحلام:

- " أنا شايفة إن أرواحنا تلاقت في عوالم تانية ".

قال فارس:

- " حتى في العوالم التانية كنت بحبك ".

قالت أحلام:

- "وفي بقية العوالم والأزمان هتحبني برضو؟".

قال فارس:

- " في كل دنيا وكل عالم وكل زمان، في كل شخصية هتكونيها، العالم ده مش كفاية إني أحبك فيه، في كل حياة جاية وكل حياة عدت هحبك برضو".

لتدمع عيناي متأثرة بكلامه وتجذب هيام يدي إلى الخارج حيث ينتظرنا الأهل والأحباب لكي نعقد قراننا.

أمسكتُ في يده؛ في يد فارسي الذي أعلم أنه لن يتركها أبدًا، مستشعرة معنى الأمان الحقيقي في هذا العالم.

تمت بحمد الله